فلسفة الحرب و الاشكالية الاخلاقية

دراسة تحليلية

أ.م.د. مسلم حسن محمد (جامعة رابرين – كلية العلوم الانسانية)
dr.muslimhasan2004@uor.edu.krd
أ.م.د. بتول رضا عباس (جامعة رابرين – كلية العلوم الانسانية)
Dr.batool2010@uor.edu.krd

الملخص:

يرتبط مفهوم الحرب بمفهوم السلم في أغلب الأحيان وقد يبدوا لنا أنه من الصعب الفصل بين المفهومين للوهلة الأولى وذلك لأن أحدهما يعتمد على الآخر في البناء والتأسيس فلا يمكن الخروج من حالة دون الدخول في الحالة الثانية كما أنه لا يمكن الخروج من الحرب إلى السلم دون الاتفاق على شروط السلام بين الأطراف المتحاربة.

في دراستنا الموسومة بـ (فلسفة الحرب والإشكالية الاخلاقية: دراسة تحليلية) تناولنا قضية شائكة والتي تتناول مدى خضوع حالة الحرب للمعايير الاخلاقية وهل هناك مبررات للحرب؟ وهل هنالك حرب عادلة وأخرى غير عادلة؟ وتسأولات جوهرية أخرى بهذا الشأن، وقد تغير مفهوم الحرب عبر العصور إذ ارتبطت الحرب عند اليونانيين بمفهوم البطولة والملاحم الشعرية والمجد والشجاعة كما تم اضفاء الطابع الديني المقدس على الحرب في العصور الوسطى بل باتت الحروب تعلن بأسم الآله ومن أجل الآله، اما في العصور الحديثة فقد اخذت التبريرات السياسية وفكرة القانون الطبيعي محل التبرير الثيولوجي للحرب ولو انتقلنا الى عصرنا الحالي لوجدنا الحال قد اختلف كثيرا عن السابق اذا بات في كثير من الاحيان اعتبار الحرب قائمة والعدو مجهول بل هي بمثابة حرب دون افق للسلام وكانت بوادر هذه الحرب بعد احداث١١سبتمبر٢٠٠١ بل في بعض الاحيان صارت الحروب لا تاخذ الطابع التقليدي المتمثل في المواجهات المسلحة بين الدول وإنما بأساليب أخرى وأخطر من المواجهة المباشرة، وقد تطرقنا في دراستنا الى ذلك.

Abstract

The concept of war is linked to the concept of peace in most cases, and it may seem to us that it is difficult to separate these two concepts at the first glance, because one depends on the other in construction and establishment, so it is not possible to get out of one situation without entering the other, otherwise it is not possible to get out of war towards peace without agreeing on the terms of peace between the warring parties, i.e, the parties involved in conflict.

In our study entitled (The Philosophy of War and the Moral Problem: An Analytical Study) we have dealt with the critical issue of the extent to which the state of war is subject to moral principles and is there any justifications for war? Is there a just war and an unjust war?; besides other fundamental questions in this regard. The concept of war has changed through the ages, as the war in the time of Greeks was associated with the concept of heroism, poetic epics, glory and courage, also a sacred religious character has been imparted to war in the Middle Ages, but wars were declared in the name of God and for God, while in modern times several political justifications have been taken in this regard and the idea of natural law has taken the place of theological justification of war and in this time we find the case very different from the past since it is often there might be a war but the enemy is unknown, or a war without a horizon for peace, especially after the events of September 11, 2001, where sometimes wars do not take the traditional character of armed confrontations between countries, but in other ways became more dangerous than direct confrontation, that is why we have examined this topic in our study.

المقدمة :

تُعد ظاهرة الحرب والعنف من أقدم الظواهر التى عرفها الإنسان في حقبه التاريخية ، فقد أصيبت الإنسانية منذ فجر التاريخ بهذا المرض، فلا يتطلب إثبات حضور الحرب داخل تاريخ الحضارات الإنسانية الكبرى قولا كثيرا فيكفي أن نقرأ بعض كتب الأولين لكي نتذكر جزءا من الأحداث التي عشناها أو حكي لنا عنها، أو أن نتابع بعض البرامج الوثائقية حتى نكون على بينة من ذلك، فالتاريخ بمعنى من المعاني هو تاريخ حروب وتقاتل من أجل السلطة والمكاسب الاقتصادية، اليست أقدم وثيقة تاريخية غربية – الالياذة – هي وثيقة حرب؟ وكذا الاوديسة، اليست بمعنى من المعاني حكاية حرب ؟ وكذا الامر لأسطورة كلكامش وحالة التقاتل بين الأبطال وكذلك شعر ما قبل الإسلام، الم يجد في الحرب موضوعا مثيرا للاهتمام بشكل مميز؟ و لنتصفح الكتب المدرسية والمناهج التربوية ماذا سنجد؟ بالتاكيد حروبا تلو الأخرى.

وبالرغم من كره شعوب العالم للحرب إلا أنها تعد ظاهرة إنسانية قديمة، فلم يخلُ أي عصر من العصور الإنسانية من اشتعال الحروب التى كانت ضحاياها تصل أحيانا إلى الملايين من البشر وغالبا ما يكونون من المدنيين والأطفال والنساء فمنذ القدم والصراعات على الأرض مستمرة وقائمة إلى يومنا هذا سواء بين الأمم والدول أو في الدولة الواحدة ذاتها بين جماعات وأعراق مختلفة وربما بين اكثر من دولة في الوقت نفسه.

أولا: اهمية الدراسة

لا شكّ لكل دراسة اهميتها بشكل أو بأخر ودراستنا الموسومة بـ (فلسفة الحرب والاشكالية الاخلاقية : دراسة تحليلية) تحمل في طياتها أهمية بالغة لكونها تبحث جانبا مهما لحدث انساني شئنا ام ابينا فانها بين الفينة والاخرى تتكرر ولما كان الحدث واقعا فالسؤال كيف يتسنى لنا تقليل الضحايا في هذا الحدث ؟ وكيف لنا وضع القوانين اللازمة والرادعة في منع جرائم القتل وخاصة قتل الأبرياء والنساء والمواطنين العزل، وهكذا فأن دراستنا تسلط الضوء على الفعل الإنساني في حالة الحرب وكيفية اشاعة القيم الإنسانية واحكام اخلاقية ملزمة للاطراف المتصارعة والحرب الدائرة بين طرفين أو أكثر في ابشع حالتها.

ثانيا: منهج البحث

إن المنهج المتبع في دراستنا منهجا تحليليا للافكار والرؤى المختلفة حول مفهوم الحرب إلى جانب عرض آراء الفلاسفة والمفكرين حول موضوعة الحرب ومقارنتها مع بعضها البعض معززة بالشواهد والوقائع التاريخية والمعاصرة التي تدعم آراءنا وآراء الفلاسفة القدماء والمحدثين منهم كون الحدث لا يقتصر على زمان وعصر معين إنما الوسائل وآليات الحرب هي التي تتغير بينما جوهر الصراع هو واحد في كل العصور.

ثالثا: الاشكالية والاسئلة الجوهرية للبحث

في دراستنا هذه نحاول ومن خلال دراسة أراء الفلاسفة والمفكرين المعنيين بموضوعة الحرب وأسباب شنها و الحال اثناء تفاقم شدة الصراع وكيف بالإمكان التمسك بالقيم الخلقية في غمرة الحروب، لذا سنستعرض هنا بعض الاشكاليات والتساؤلات الجوهرية في هذا الصدد:

١- مالحرب ؟

٢- لما الحرب؟

٣- هل بالإمكان شرعنة الحروب؟

٤- هل هناك وجود للقيم الخلقية عند بدأ الحرب؟

٥- مالحرب العادلة؟ وهل هناك حرب عادلة اصلا؟

وتساؤلات أخرى سنجيب عنها في دراستنا و سنحاول اللجوء إلى الأستشهاد بالأمثلة الواقعية في تاريخ الإنسانية لتوضيح الامور.

ثالثا: تقسيم البحث

ارتاينا تقسيم البحث إلى عدة مباحث وكذلك المباحث إلى مطالب، حيث جعلنا المبحث الأول مدخلا مفاهيميا تطرقنا فيه إلى مفهوم الحرب لغة واصطلاحا وكذلك عرض لمواقف الفلاسفة والمفكرين حول الحرب والأشكالية الخلقية أما المبحث الثاني فقدتناولنا موضوع الحرب طبيعتها وأنواعها، أما في المبحث الثالث فقد كان موضوع الدراسة فلسفة الحرب وموقف الفلاسفة منها، أما في المبحث الرابع فقد تناولنا مسألة الحرب المقدسة والتبرير العقائدي للحرب أذ تطرقنا إلى رؤى فلسفية لمعنى الحرب المقدسة وتناولنا رؤية كل من القديس اوغسطين وابن رشد وابن خلدون وفلاسفة ومفكرون آخرون حول ذلك، اما في المبحث الخامس والذي كان بعنوان الحرب وحلم السلام الأبدي فقد تم فيه التركيز في على رؤية الفلاسفة المحدثين ومن أبرزهم توماس هوبز الذي تطرق

إلى مسألة الحرب والغاية من الحرب و وضع الأمن والاستقرار والسلام هدفا ساميا فى الدولة والحياة الاجتماعية،كما وتطرقنا الى رؤية فلاسفة اخرين لهم شأن في هذا المجال، هذا فقد حاولنا من خلال دراستنا الإجابة على التساؤل الجوهرى وهي الحرب والإشكالية الخلقية وفيما إذا كانت هنالك عدالة في اللجوء إلى الحرب وكيف ومتى تكون الحرب عادلة؟ كما عرضنا مجمل نتائج دراستنا في نهاية البحث فضلا عن قائمة المصادر والمراجع التى استعنا بها في دراستنا.

الكلمات الافتتاحية: الحرب، السلم ، الأخلاق ، العنف، العدالة.

المبحث الأول : مدخل مفاهيمي

المطلب الأول: الحرب لغة

الحرب ضد السلم ، مؤنثة، وأصلها صفة كأنها مقاتلة حرب وتصغيرها حُرَيَبْ، وتاتى بمعنى القتل، أو الهرج، وجمعها حروب، ويقال: وقعت بينهم حرب (أبن منظور ٢٠٠٦، ص٦٩.)، الأزهرى، أنثوا الحرب، لأنهم ذهبوا بها إلى المحاربة، وكذلك السلم، يذهب بهما إلى المسالمة فتؤنث (المصدر نفسه:ص٦٩.)

وجاء في معجم القاموس المحيط، الحرب وجمعها الحروب، ورجل حرب ومحرب ومحراب، شديد الحرب، أي أنه اصبح شديد الحرب شجاع، ورجل حرب؛ عدو محارب، وان لم يكن محاربا، للتذكير والتأنيث، والجمع واحد، وقوم محربة ، وحاربة محاربة وحرابا، وتحاربوا، وأحتربوا (الفيروزابادي،٢٠٠٧،ص٢٧٤)

وتعرف الحرب بأنها قتال بين فئتين وعكسها سلم واذا قيل استعرت الحرب، أي أنها أصبحت شديدة وقوية، أما إذا قيل وضعت الحرب أوزارها فهذا يعنى أن القتال انتهى أو توقف الحرب، ومصطلح الحرب أن بينهم سجال يعني أنّ الحرب انتهت دون فوز أو هزيمة أي من الأطراف المتحاربة تجاه الطرف الاخر، ودار الحرب هي بلاد الاعداء ورجل الحرب هو صاحب الخبرة في إدارة وتسيير المعارك الحربية.

وكما جاء في الموسوعة الفلسفية، الحرب صراع مسلح كوسيلة لتحقيق سياسة طبقة ما، وقد قدمت الماركسية التفسير العلمي للحرب إذ فند ماركس وانجلز النظرية القائلة بان الحرب ابدية وحتمية، وبينا ان الحرب ظهرت بسبب سيادة الملكية الخاصة وسياسة الطبقات، أي الطبقة المستغلة (روزنتال، ٢٠١١،ص١٧٨.) .

ونشير إلى معنى الحرب كما جاء في دليل أكسفورد للفلسفة بأنها حالة من الاقتتال بين المجموعات المختلفة داخل البلد باستخدام الجيوش والإسلحة المختلفة، أو هي مدة زمنية تشهد الصراع العسكري أو صراع من التنافس بين المجموعات من أجل النفوذ وفرض الإرادات فيما بينهم (هوندرتش ،٢٠٠٥، ص٢٨١.).

ويعرفها اللغويين كذلك بمعان عدة منها، سلب المال، اشتدادالغضب، القتال بين فئتين أو القتال بين البشر بعضهم بعضا، أوالقتال الذي تقوم بها جيوش غير منظمة وغير ذلك، (حسن العبيدي ٢٠١٧ ، ص١٠٢).

أما عند أهل السياسة فالحرب هي نقيض السلم فيقال وقعت بينهم حرب، لأنهم ذهبوا بها إلى المحاربة بخلاف السلم الذي يذهب الى المسالمة، فيقال (دار

حرب) ويقصد بها عند المسلمين بلاد المشركين الذين لا صلح معهم، هذا من جهة ومن جهة أخرى تعني الحرب حالة صراع بين كيانات سياسية عادة، وتشن من أجل تحقيق الاهداف بالقوة وهي اكمال عدائية مسلحة بحجم كبير أو صغير من الاستمرار بين أمتين أو دولتين أو حكومتين أو اكثر ويهدف كل فريق من ورائها إلى صيانة حدوده ومصالحه في مواجهة الطرف الآخر (المصدر نفسه: ص١٠٣)

وهناك تعريف آخر لمعنى الحرب يذهب الى انها شكل من أشكال العلاقات الدولية يستخدم فيها القوة والسلاح فضلا عن أدوات أخرى أو بمعنى اوسع هي استخدام القوة والعنف بين جماعتين من البشر تخضعان لنظامين متعارضين لهما مصالح متعارضة، إذ أن الحرب تقوم حين ينتهي دور المجموعات البشرية المتناحرة في الوصول الى حالة ترضي الطرفين أو الأطراف المتناحرة بصدد المشكلات التى سببت هذا التناحر فهى تقوم وتحضر بعد غياب لغة السلم والحوار والتفاهم فالحرب هي المحطة الأخيرة ونهاية الحوار.

المطلب الثاني : الحرب اصطلاحا

دون شك بأن الحرب كحالة وصراع بين طرفين أو أكثر لها أكثر من مفهوم فكل من جانبه ينظر الى الحرب فالفلاسفة لهم نظرتهم الخاصة للحرب وكذلك الساسة والقانونين وغيرهم كل من زاويته الخاصة وفهمهم الخاص للحرب ولكن مما لا شك فيه بأن الحرب حتى وإن كانت عادلة فإن نتائجها دمار على الإنسان .

وقد حاول الفلاسفة في مختلف الحقول فهم طبيعة وإشكاليات الحرب من مفهوم هيرقليطس للحرب بوصفها أبًا كل شئ إلى أطروحة تمحورت حول السلام الإبدي ، و لقد اختلف الفلاسفة في قيمة الحرب بوصفها مدرسة للفضيلة، وبؤس الحرب وأسبابها والحرب العادلة وإمكانية خلق السلام والأخوة العالمية، غير أن الحرب كانت مهمة للفلسفة بطريقين آخرين.

ومما لا شك فيه أن الحرب البلبونية الكارثية قد أثرت في رأي افلاطون السيئ في الديمقراطية الإثينية، ايضا فان احتلال الاريكيين لروما جعل القديس اوغسطين يكتب (مدينة الله) أما ريبة مونتاني فقد عززتها الحروب الدينية في القرن السادس عشر وكذلك الحال في موقف الفارابي من الأوضاع السياسية والاجتماعية في بغداد الدولة مما جعله يؤلف كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) وكذا الحال مع ابن رشد وابن خلدون، كما أن الحرب الأهلية في انجلترا في القرن السابع عشر وهبت هوبز (اللفيثان) المثير للمشاكل (هوندرتش ، ص٢٨٢.)

ويذكر كلاوزفتيز في كتابه (فن الحرب)، أن الحرب عمل من أعمال العنف يستهدف إكراه الخصم على تنفيذ إراداتنا، فالحرب كعمل اجتماعي يفترض وجود إرادتين تتصارعان، أي أن الحرب تفترض وجود مجتمعين سياسيا، يحاول كل منهما التفوق على الآخر وقهره، ويسمي كلاوزفيتز هذا بالعنف المادي لا العنف المعنوي، أو بالضغط المعنوي، أو الدولي الذي نعرفه وفرض أرادته وسطوته على الآخر في عصرنا الحالي، (كلاوزفيتز ٢٠١٣، ص٤٧.)

ويتبين من الفهم اعلاه للحرب الميل إلى التصعيد والعنف إلى الحدود القصوى وقد يعود السبب في ذلك إلى ما يسميه ديالكتيك الصراع، أي جدلية الصراع وحتميته

"أن الحرب عمل من أعمال العنف ، وليس هناك من حدود للتعبير عن هذا العنف فكل من الخصمين يصنع قانون الآخر، ومن هنا ينتج عمل متبادل يصعد الأمور الى الحدود القصوى" (ديري، ٢٠١٢ ،ص٢٣٦.).

المبحث الثاني: الحرب، طبيعتها وانواعها

المطلب الأول: طبيعة الحرب

في الحقيقة إن الحرب في طبيعتها قاسية وخطرة وليس من السهل ايجاد طريقة أو وسيلة لكسبها دون اراقة الدماء مما يوجب الاستخدام الأقصى للقوة المطلقة ولهذا لا بد من دراسة واقعية ودقيقة لابعاد الصراع وتداعياتها لمعرفة حقيقة الحرب فيما بين المخاطر الهينة الى الوحشية القاسية ، وان دوافع الحرب لا يمكن حصرها بنقاط وحالات محددة بل أن دوافعها تختلف حسب العصور والجغرافيا والايديولوجيا، فدوافع الحروب كانت في العصور القديمة تختلف عن دوافعها وأسبابها اليوم ولكن الغاية منها هي تجريد العدو من سلاحه وعوامل قوته وإمكانياته الاقتصادية والبشرية، وبالتالي خضوعه لمشيئتك وإرادتك ، كما أن الهدف من الحرب جعل العدو ينفذ إرادته.

وبذلك فالحرب هي نزاع مسلح بين دولتين أو أكثر من الكيانات المنسجمة إذ الهدف منها اعادة تنظيم الجغرافية السياسية والاقتصادية للحصول على النتائج المرجوة والمصممة بشكل ذاتي باعتبارها عمليات مستمرة من العلاقات السياسية ولكنها تقوم على وسائل مختلفة (ar.m.wikipedia.org //https).

فالحرب إذن حالة أو ظاهرة يمكن اعتبارها اجتماعية وسياسية تتفاعل فيها عوامل موضوعية وذاتية يضع فيها الطرفان المتصارعان أو الأطراف المتصارعة أهدافا محددة وحاسمة –في غالبيتها– لا تقبل الحلول الوسط ويخوضان صراعا ضاربا للوصول إلى تحقيق رغباتهم واراداتهم، ولهذا لابد من فهم الأصول المادية والميدانية للحياة العسكرية وتحليل دقيق لطبيعة الحرب واسبابها وكيفية الحد من العنف المفرط اثنائها، وفي دراستنا هذه نسعى لبيان العايير الاخلاقية الواجب مراعاتها في الحروب على اعتبار أن الحروب واقعة لا محالة ومن الصعب الحد في وقوعها فالتاريخ البشري ملىء بالصراعات فمنها قصيرة الامد ومنها الطويلة وربما في المستقبل تكون الحروب اخطر مما حصل في الحربين العالميتين وحادثتي هيروشيما ونكازاكي و استخدام الأسلحة المحرمة دوليا في حسم الصراعات كما حدث في مدينة حلبجة وغيرها من حالات استخدام الأسلحة الفتاكة للإسراع في حسم المعركة حيث يرى جون ديوى بأن الاستخدام غير الأخلاقي للقوة، بحد ذاته استخدام احمق (فيتوريو بوفتش ٢٠٠٦, ص٤٤)

ولغرض تحديد الحرب وتمييزها عن الظواهر المعارضة الأخرى وعن أشكال الصراعات المشابهة، نذكر بعض التعريفات، اذ يُعد البعض أن الحرب تقوم بشكل خاص على صراع يقع بين جماعات بشرية كما ذهب الى ذلك الباحث (مارتنز– Martens)، ويوجب اخرون ان يجرى هذا الصراع بين دول مستقلة، أي يكون له طابع دولي مثلما اعتقد الباحث (بنكر شوك – Bynk Shoek)، ونشير إلى معيار اخر للحرب و الذي اقترحه (كمروفسكي–Kamarwsky)، اذ يعزو طابع الحرب إلى الصراعات المسلحة التى تقوم بها أحزاب

منظمة سياسيا أو إلى جماعات تنشد حقوق السيادة (غاستون، ٢٠٠٧، ص١٤.).

وبرؤية قانونية باعتبار أن الحرب هي صراع دام، يعنى أنها تنوى الانتقال من شكل قانوني إلى آخر، فلقد شدد (مريانو كورنيجو– Mariano Corengo)، على أن الحرب هي عقد من نوع خاص، إنه يرتبط بالمبارزة القضائية في القانون الخاص القروسطي ويتضمن من جهة أخرى نظاما قانونيا خاصا.

وبايجاز فأن الحرب هي احد أشكال العنف الذي يتميز بصفة اساسية بانه منهجي ومنظم فيما يتعلق بالجماعات التي تقوم بها، وبالطرق التى تستعملها من أجل ذلك، إضافة إلى ذلك، فإن الحرب هي محدودة بالزمان والمكان ويفترض أن تكون خاضعة لقواعد قانونية خاصة بها على درجة كبيرة من التغيير تبعا للأمكنة والعصور، وجميع هذه الميزات تنبع من الطابع المنظم للنزاعات الحربية (غاستون، ص٤٨.).

ولا شك أنه يمكن إيجاد تعريفات ومفاهيم لا حصر لها لحالة الحرب، فيمكن أن تجد تعريفا واسعا جدا للحرب وطبيعة الحرب وبالعكس تعريفا اخر ضيقا، ومن الصعب التخلص من الانتقاد كون الحرب ظاهرة اجتماعية سياسية واسعة وهنا نورد مفهوم علماء الاجتماع للحرب على أنها (التعوثرض بين موقفين أي قيام مصلحة في جانب تضر مصلحة الجانب الآخر) أو تمنع نشوئها ومثل هذا الخلاف يقع على استعمال حق قائم أو على مدى هذا الحق (خليل، ٢٠١٥، ص١٥.).

وثمة ميزة أخرى أساسية للحرب هي طابعها القانوني، لذا يمكن القول أن الحرب هي عقد، وهي احد اشكال العنف لاريب إلا أنها عنف منظم، فما من حرب بمعناها الحصري لا تكون خاضعة لقواعد محددة تقريبا، لقانون شكلي أو عرفي ولكل منها بداية ونهاية تتمثل عامة باحتفالات أو بمراسيم هدفها التعبير عن نحو مؤثر عن الانتقال من السلم إلى الحرب أو العكس.

المطلب الثاني: أنواع الحروب

هنالك عدة أنواع من الحروب تختلف في طبيعتها وشكلها وكذلك قواعدها والأسلحة والأدوات المستخدمة في الحرب بين طرفين أو أطراف عدة فمنها حروب مباشرة وفعلية ومنها حروب غير مباشرة وما يهمنا في دراستنا البحث في الاشكالية الاخلاقية حول سلوكيات المتحاربين أثناء الحدث وخاصة الحروب التى تحدث بين دولتين أو أكثر، أما عن أنواع الحروب فنذكر منها:–

١– الحرب القذرة، وهي أبشع أنواع الحروب اذ تحدث فيها مجازر ضد المدنيين العزل والنساء والاطفال كما حدث في الحرب الكورية عام ١٩٥٠م والحرب الفرنسية ضد الشعب الجزائري بين عامي (١٩٥٢ — ١٩٦١م)، والحرب بين الهوتو والتوتسي في رواندا و من حيث استخدام أسلحة محرمة دوليا كما حدث في الحرب العالمية الثانية وغيرها من الحروب في مناطق متفرقة من العالم في عصور وازمان مختلفة .

٢– الحرب العادلة، اختلف الفلاسفة والمفكرون في تحديد مفهوم (الحرب العادلة) و حاول بعض المفكرين والفلاسفة تبرير مثل هذه الحروب

وسنتطرق الى اراء بعض الفلاسفة ومواقفهم من الحرب واسبابها وتداعياتها واثارها.

٣- الحرب الاستباقية، وتعني نقل المعركة الى ارض الطرف الاخر(العدو)، وتشويش خططه ومواجهة اسوأ التهديدات المتمثلة وان التنافس الحاد ما بين الخلاف حول مشروعية الحرب الاستباقية كأداة ردع تتجاوز الانجاز الحضاري ما بعد الحرب العالمية الثانية والذي حاول قدر الأمكان الحد من النزاعات ثم محاولة ربطها بخلق عالم أكثر أمنا، أو بتحقيق الديموقراطية والسلام كما نلاحظ ذلك في عالمنا الحاضر وربما نجد هذا الأسلوب في الحرب واضحا في السياسة الاستراتيجية للولايات المتحدة الامريكية وحروبها المستمرة في العالم و تغيير ساحة الصراع إلى أرض غير أرضها وذلك بحجج وتبريرات ابعد ما تكون منطقية أوعقلانية أو قانونية.

هذا وهنالك أنواع أخرى من الحروب يمكن ذكرها بالشكل التالي :-

أ. الحروب الأهلية (الطائفية أو العرقية): وهي عبارة عن نزاع مسلح يكون بين أفراد الدولة الواحدة وتكون أسبابها ربما اقتصادية أو سياسية أو ايديولوجية أو دينية أو عرقية عنصرية ونتائجها لا شك كارثية وتستمر إلى فترات طويلة حتى بعد نهاية الحرب وهنالك الكثير من أمثلة لهكذا حروب منها الحرب الأهلية اليونانية بين عامي (١٩٤٦ – ١٩٤٩م) والحرب الأهلية الباراغوايية ١٩٤٧م وكذلك الحرب الأهلية الأولى في السودان بين عامي (١٩٥٥ – ١٩٧٢) والحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥ – ١٩٩٠م) والحرب الأهلية في اقليم كوردستان العراق (١٩٩٤ – ١٩٩٧م) والحرب الأهلية التى حدثت بعد سقوط النظام في العراق بعد عام ٢٠٠٣ اذ و نتيجة للشحن الطائفي والعرقي والسياسي بين ابناء الشعب حدث حربا أهليا في العراق وخاصة بين عامي (٢٠٠٦ –٢٠٠٨م) وغيرها العشرات من الحروب الأهلية التى حدثت في داخل الدولة الواحدة وعادة في حالات كهذه هنالك تدخلات سياسية خارجية لصالح طرف ضد طرف أو أطراف أخرى ولمصلحة خاصة وأحيانا تصل إلى الدعم العسكرى واللوجستى، ومن ثم ديمومة الصراع في دولة بعينها لغاية ما ولمصلحة استراتيجية.

ب. الحرب الباردة: وهي تحدث بمكيدة طرف من الأطراف المتنازعة للطرف الأخر دون أن يكون هنالك مواجهة مباشرة أو قتال وأبرز مثال على ذلك الحرب التى دامت لأكثر من ٥٠ عاما بين الاتحاد السوفيتي (سابقا) والولايات المتحدة الامريكية.

ت. حرب الاستنزاف: وهي حرب غير متصلة وإنما تهدف إلى استنفاذ قوى العدو وإنهاء موارده كما يحصل حاليا بين الولايات المتحدة الامريكية ضد ايران وسابقا ما حصل في العراق

عند فرض الحصار الاقتصادي من قبل الأمم المتحدة وبرعاية الولايات المتحدة الامريكية .

ث. الحرب الخاطفة: هي عبارة عن هجمة سريعة مفاجئة تكون جوية أو برية وتقوم في أساسها على الهجوم الصاعق كما حصل في هجمة الكيان الصهيوني على مفاعل تموز النووي في العراق عام ١٩٨٢.

ج. الحرب النفسية: وهي عبارة عن محاولات هادفة للتاثير على معنويات ونفسية المشاركين في الحرب اثناء وقبل وقوعها ولها تاثير كبير في نفسية الاطراف المتحاربة سلبا وايجابا وللاعلام دور كبير في هذا المجال واشهر مثال على ذلك دور وزير الاعلام الالماني في عهد هتلر على مجرى الحرب العالمية الثانية.

ح. حرب العصابات: وهي حرب يكون أحد أطرافها مسلحين غير نظاميين إذ يشنون الهجمات المسلحة كّلما وجدوا فرصة لذلك ويفرون إلى مكان آمن ، ويمكن اعتبار العمليات الإرهابية لتنظيم القاعدة والدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام (داعش) في العراق مثالا على ذلك منذ عام ٢٠١٤ و حتى عام ٢٠١٨ (Mowdoo٣.com).

المبحث الثالث : فلسفة الحرب وموقف الفلاسفة منها

ما بين الحروب و النزاعات:

هنا نود أن نميز بين الحروب والنزاعات فاننا نرى أن الحرب كحادثة المقصود بها في دراستنا هذه هي تلك الحروب الفعلية والتي تحدث تاثيرا ليس فقط على الفاعلين أو على الأطراف الداخلة في الحرب بل تلك الحروب التي لها تاثيرات جوهرية على المستوى الاقليمي أو العالمي ، فهناك حروب تحدث وتنتهي دون أن تترك اثرا عالميا وهذا لايعني بأنها لا يمكن وصفها بالحرب بل إنها حرب ولها ضحايا ولكن وصفها بالنزاع أقرب ما يكون ومثال ذلك ما يحدث بين السنهاثين والتاميل في سريلانكا فهي حرب ربما بكل المقاييس ولكن تاثيراتها وتداعياتها محدودة اقليميا وعالميا وما نحاول البحث عنه هو تلك الحروب التي قد تغير المجرى السياسي والاقتصادي والتاريخي بل قد تغير موازين القوى في العالم وتحدث انعطافات كبرى في الأوضاع بين الدول وتداعياتها تستمر ربما الى سنين وقرون عدة ، كما حدث في الحرب العالمية الأولى وحرب الخليج الأولى والثانية ، أما عن الحرب والفلسفة والسؤال عن أسباب الحرب وشرعنة الحرب وتداعياتها فلا شك أن الفلاسفة والمفكرون قد اختلفوا في مواقفهم وآرائهم نحو ذلك كل وفق منهجه الفلسفي والمنظومة الفلسفية التي ينتمي اليها الفيلسوف او المفكر، ونحاول الان ذكر أهم الآراء الفلسفية في عصور الفلسفة المتباينة .

المطلب الأول: موقف الفلاسفة من الحرب

أولا: هيراقليطس وضرورة الحرب

ربما من أشهر الفلاسفة الاغريق الذين كان لهم موقف واضح من الحرب هو (هيراقليطس ٥٤٤–٤٧٥ ق.م) كما يعتبر من أشهر الفلاسفة في الفترة السابقة لسقراط وفيلسوف مدينة (افسوس) و الذي كان يزدري معاصريه من المفكرين وسابقيهم من أمثال (هوميروس) و (هزيود) و

(فيثاغورس) وغيرهم لانهم اشتغلوا بعلوم جزئية لا تثقف العقل ولأنهم ضللوا الناس بالخرافات والاساطير التي هي في نظره غير جديرة بالاحترام والتقديس وقد اتجه هيراقليطس في أسلوبه إلى الرمزية والتشبيه واستخدام عبارات مبهمة وقد جمعت شذرات فلسفية اخيرا في كتاب تحت عنوان (جدل الحب والحرب) من قبل الباحث مجاهد عبد المنعم مجاهد .

يذهب هيراقليطس إلى أن النار هي أصل الكون وهي المبدأ الأول الذي تصدر عنه جميع الأشياء وإليه تعود فهذا ما توضحه الشذرة رقم (١٢) من شذراته التي تقول "إن هذا العالم المنظم لم يخلقه إله ولا إنسان ولكنه كان وهو لا يزال، وسيظل إلى الأبد (نارا) لا تنطفئ فيها الحياة ، تشتعل بمقدار وتخبوا بمقدار ، فكل الأشياء تنبثق او تخرج من النار والى النار مرجعها (جديدي ٢٠٠٩.ص١٦١) ".

أما عن موقفه من الحرب فاننا نجد بأن موقف هيراقليطس ومن الحرب وطبيعتها هو من أكثر المواقف الفلسفية واقعية، وقراءته دقيقة في وصف الحرب ونتائجها وهذا ينطبق أيضا على حالة الحرب كحادثة وحوار إنساني من طراز مختلف وكذلك ينطبق على المنظومة الفلسفية الهيرقليطية، ولا نشك بأن البيئة لها تاثير على آراء الفلاسفة وكما يشاع القول بأن الفلاسفة والمفكرين أبناء بيئتهم فإذا صح القول بأن هيراقليطس حقا ابن بيئته المشبعة بالصراعات والحروب الداخلية والخارجية، وهذا مما دعى إلى تفسير أكثر واقعية من غيره حول الحرب وذلك على بنية سياسية وميتافيزيقية في الآن ذاته، كما آثر كل ذلك على رجحان كفة الصراعات والتغيرات في فلسفته، حيث يرى أن الصراع هو الكل والنزاع قاعدة في هذا الوجود تخضع لها جميع الموجودات ويقول مؤكدا حتمية هذا الصراع ويجب على الإنسان أن يعرف أن الحرب عامة والشريعة هي النزاع وكل شئ يبرز إلى حيز الوجود عن طريق النزاع والضرورة، ويبين من ذلك أن الحرب لديه تنبع شرعيتها من الضرورة التي تحكم هذا العالم فالضرورة هي التي تؤدي إلى الصراع والحرب ما بين الأضداد، وعلى الرغم من أن هيراقليطس قد أصر في أكثر من نص على عدالة الصراع والحرب فلا عدالة مع قانون الغابة، وهذا ما حدا بهيراقليطس أن يحدد معيار العدالة في هدف الدفاع عن الوطن الذي هو أكبر وأهم من أي هدف اخر ويقول "نفوس الناس الذين يستشهدون في المعركة اكثر نقاء من نفوس من يموتون بالمرض" (هيراقليطس ، ٢٠٠٨ ، ص٨٧)، فغاية الحرب عنده غاية إنسانية توحي بالحرية والالتزام و تنشد هيبة الوطن وسلامته.

ثانيا: افلاطون وحرفة الحرب

إن الدارس لفلسفة افلاطون وكتابه الجمهورية يلاحظ جيدا أن العدالة مركزا لفلسفته ومبتغاه في أغلب مؤلفاته كما يلاحظ أن افلاطون يؤثر السلم على الحرب وذلك من خلال السيطرة وقمع الشهوات وتفضيل الشجاعة على التهور ، كما جعل الشجاعة ضمن الصفات الأساسية الواجب توافرها للفيلسوف الحاكم.

و لابد أن نذكر بأن الباحثين يتفقون حول مضمون التمييز بين الحرب والنزاع ويعتبر افلاطون كل حرب تشن مع دول أو جماعات أخرى خارج الدولة حربا أما

الصراعات التي تحدث داخل الدولة فيمكن أن توصف بالنزاعات الداخلية، فالحرب تحدث بين الأعداء مثلا بين اليونانيين ودولة أخرى، أما قتال اليونانيين مع بعضهم فذلك لا يمكن تسميتها بالحرب لأن الصلة بين الفريقين لم تنعدم، وقد اسماه بالفتنة والتي لا بد من اخمادها قدر الامكان حتى قبل اندلاعها كي لاتجر المجتمع إلى ويلات وفوضى وحينها تهمل العدو الحقيقي أو الخارجي الذي يتربص السوء بالدولة، فلابد من توجيه قوة وتماسك وإرادة الدولة نحو الدفاع وصد العدو الخارجي.

هذا واننا نجد في فلسفة افلاطون مدى تقديسه للوحدة والنظام العسكري ومدى اعجابه بالنظام العسكري الاسبارطي مما جعله يركز على جانب التدريب الرياضي وبناء الجسم بناءا قويا حتى في نظامه التربوي وجعل للطبقة الحارسة مكانة خاصة في الدولة على اعتبار انهم حماة العدالة في الدولة بل هم الدولة ذاتها، كما وضع نظاما لتهذيب الحارس تهذيبا نفسيا واخلاقيا وجسديا وهذا يدل على ان الحرب في حد ذاتها عند افلاطون هي تهذيب و ان تركيزه على الجانب الخلقي للطبقة الحارسة ليس الا لادراكه بان الصراعات والحروب لها طبيعة انسانية لذا لابد من وقوعها و على الرغم من انها تفتقد المدنية الفطرية الا ان النفس الانسانية والصراع الداخلي النفسي للانسان تنعكس على السلوك الانساني للفرد ومن ثم الجماعات وكما ان كل فرد يتخصص في عمله اللائق به وكذلك كل طبقة تتخصص في عملها،فطبقة الجند عليها ان تحارب فلا تحكم ولا تعمل وبهذا الصدد يقول افلاطون" اننا لم نسمح للحذاء بأن يكون زراعا او نساجا او بناءا وانما جعلناه يقتصر على صنع الاحذية كيفما تتصنف صنعته، كذلك جعلنا لكل صانع اخر حرفة واحدة بحيث انه لم يعد يدخر وسعا للوصول في حرفته الى الكمال فأن كان الامر كذلك افلا ترى ان من اعظم الامور اهمية هي ان تمارس الحرب كما ينبغي ؟ وهل تظن ان من السهل ممارسة هذه المهنة بحيث يستطيع الزراع او الحذاء او اى صانع اخر ان يكون محاربا في نفس الوقت، وهل يكفي ان يتناول المرء رمحا او اى سلاح اخر كيما يصبح في الحال جنديا مدربا في اى فرع من فروع الجيش؟ في حين نحن نعلم علم اليقين اننا مهما تناولنا من ادوات في اى فن اخرفلن نصبح صناعا او رياضيين،اذ ان الاداة لن تجدى شيئا لمن لم يكتسب معرفة بكل فن ولم يتلق التدريب الضروري، (افلاطون: ٢٠٠٥.ص٦٧.).

من ذلك يتبين لنا بأن افلاطون يدعو الى:-

١- التخصص في شؤون الحرب، فلا يمكن لكل من هب و دب الدخول الى ساحة المعركة، فالمحارب هو الشخص الذي اتقن فن الحرب اتقانا تاما

٢- للحرب علوم ومعارف لا بد من دراستها وبيان أساليبها وفنونها منذ الصغر، فالحرب لا تجدى لمن لم يكتسب هذه المعارف من قبل مثلها مثل الحرف الاخرى، (مسلم حسن ، ص٣١٩).

٣- يذكر افلاطون بأن الرئاسة الحكيمة هي التى تجنب البلاد البلاء و ويلات الحرب فرجل الدولة الحقيقي يسعى الى ما هو افضل دوما، ولما كان رخاء الدولة وسعادتها بالسلم والارادة

الطيبة هو الاحسن، فلن نلاقي حكيما يقوم بتنظيم السلام من اجل الحرب وأنما بالاحرى اذا ما امر بالحرب وصارت الحرب ضرورة فانما تكون الحرب لمصلحة الدولة.

٤- افلاطون يجوز شن الحرب والدفاع عن النفس والدولة والمواطنين من الطامعين الخارجيين فهذه حرب لابد منها.

٥- اما بخصوص الجانب الخلقي من الحرب عند افلاطون، فهو يصف الحرب بالواجبة والعادلة والشرعية وكذلك المرغوبة من اجل سيادة النظام والترتيب والتوازن.

٦- على المحارب سواء اثناء الحرب او خارجها، الطاعة الكاملة في تنفيذ الاوامر حتى لو رأى ان حربه غير عادلة فعليه بالطاعة والقتال، فألأثم في الحرب الجائرة لا يقع على المحارب بل على الحاكم الذي قاده إليها.

٧- لا بد من ذكر فضيلة الشجاعة حيث تعتبر من الفضائل الخلقية في الفلسفة الافلاطونية ولكن تجدر الاشارة إلى أن افلاطون يعتبر الشجاعة الحربية أدنى أنواع الشجاعة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ميل افلاطون الى السلم وأن السلم عنده افضل الاحوال.

٨- يعتقد افلاطون بأن المحاربين يجب أن يكونوا من ذوي الشهامة وبالتالي فهم حاد الطباع قساة و يكونوا مهذبين من جهة اخرى لأنهم يجب أن تكون لديهم محبة منزهة لاقرانهم وكراهية منزهة بالنسبة للغرباء ويحتاج الأشخاص الذين يمتلكون هذه الطبائع الخاصة ايضا الى تربية خاصة، انهم يحتاجون من اجل عملهم إلى تدريب على فن الحرب، بيد ان هذه التربية ليست هي التربية التي اهتم بها سقراط اساسا، إنهم المحاربون الجيدون بالطبيعة وهم الاشخاص المسلحون فقط والمدربون على الحروب انهم لا محالة المالكون الوحيدون للسلطة السياسية كما ان عهد البراءة قد مضى، فالشر قائم في المدينة وبالتالي فان التربية التي يحتاج إليها المحاربون اكثر من اي شخص اخر هي فضلا عن ذلك تعلم الفضيلة المدنية، وهذه التربية هي تعلم الموسيقى و يكمن تعلمها عن طريق الشعر والموسيقى بصبغة خاصة وليس كل الشعر والموسيقى مناسبا لان يجعل الناس مواطنين صالحين بوجه عام ولكن المحاربين الصالحين أو الحراس بوجه خاص، ولذلك يجب استبعاد الشعر والموسيقى اللذين لا يحققان هذه الغاية السياسية الأخلاقية في المدينة، (شتراوس ، ٢٠٠٥، ص٧٨.).

المطلب الثاني: الحرب كغاية للسلام

يعتقد (ارسطو طاليس) بأن الانسان مدني بالطبع ويمكن رؤية الأخلاق عنده في أفعال الإنسان بما هو إنسان و على هذا الاعتبار فهي علم عملي، ويرى المعلم الاول بان الانسان لا يبلغ كماله الا في المدينة وبمعونتها ولتدبير المدينة علم خاص هو العلم السياسي، فكما ان الفرد جزء من المدينة فان علم الأخلاق جزء من العلم السياسي

والعلم السياسي راس العلوم العملية جميعا يستخدمها لغايته وخيره، كما يستخدم فن الحرب والاقتصاد والبيان فأنه يستخدم علم الاخلاق لتقرير ما يجب فعله وما يجب اجتنابه، اي تنظيم الحياة بالقانون فغايته تشمل غايات العلوم الأخرى وهذه الغاية هي بعينها غاية الفرد وخيره إلا أنها ارفع وأجمل من حيث انها اوسع مدى حيث تمتد إلى الشعب بأكمله (يوسف كرم. ٢٠١٢، ص١٨٣).

ولما كانت الدولة عند ارسطو طاليس تتألف من مجموعة أسر وجب البحث بالكلام في الاسرة والجانب الأكبر من الحديث في هذا الموضوع متصل بالرق وكما هو معلوم فالرق من نتاج الحرب ولان العبيد كانوا في العصور القديمة يعدون دائما جزءا من الاسرة، فالرق امر ضروري ونظام صحيح يقوم على اساس ان يكون العبد بطبيعته ادنى مرتبة من سيده، فمنذ الولادة يتسم بعض الناس بالخضوع ويتصف بعضهم الاخر بالسيادة، فالرجل الذي لا يكون بحكم طبيعته ملكا لنفسه بل ملكا لغيره يكون بطبيعته عبدا، ولا ينبغي ان يكون العبيد من اليونان حسب رأيه بل من جنس اقل منزلة واقل روحا، ان الحيوان الاليف يحس حالا اذا ما ملك الانسان زمامه وكذلك القول في اولئك الذين هم بطبيعتهم احط منزلة حين يسودهم من هم اعلى منهم، ولك ان تسال هل نقبل نظام استرقاق الاسرى في الحرب؟ وهذا سؤال خلقي في جوهره، وأن قوته تؤدي إلى النصر في الحرب، إذ تتضمن حيازة القوي لفضيلة اعلى لكن ليست هذه هي الكمال دائما، على أن الحرب عادلة إذا ما أثيرت على جماعة تأبى الاستلام مع ان الطبيعة قد ارادت لها أن تضع زمام حكمها في أيدي غيرها ومعنى ذلك انه يكون صحيحا في هذه الحالة أن نجعل من هذه الجماعة المهزومة عبيدا وفي ذلك على ما يظهر ما يكفي للدفاع عن اي فاتح عرفه التاريخ لانك لن تجد أمة تسلم بأن الطبيعة قد أرادت لها ان يحكمها غيرها والشاهد الوحيد على نوايا الطبيعة في هذا الصدد هي انها تستمد من نتائج الحرب وعلى ذلك فالمنتصرون في كل حرب هم على صواب والمهزومون على خطأ، أما أنه دليل في غاية ألاقناع! (رسل ، ٢٠٠٩، ص٩١).

ولا بد من ان نذكر بأن ارسطو طاليس قد بنى دولته المدنية على وفق تقسيمات اجتماعية وقد كان لطبقة الحراس نصيبا مهما فيها ما يعكس أهمية هذه الطبقة من الشعب في الدولة المدينة وأهمية الحرب فيها فأن لطبقة الحراس والطبقة التي تتداول شؤون الدولة وتحكم في القضايا الجانب الأكبر، و هذان العنصران يشبهان ان يكونا هما اللذين يؤسسان المدينة (ارسطوطاليس ٢٠٠٨، ص.٢٥٧.) .

هذا وان كلتا هاتين الطبقتين تعدان عماد للدولة الحقيقية التي لا تقوم قائمة لها بدونهما وبذلك يمكن القول بأن الحرب عند ارسطوطاليس تأخذ طابعا جوهريا في فلسفته ودولته المدنية، لكن حتى لو كانت جوهرية فهذا لا يعني ان تتجرد الحرب من عدالتها، فلم تكن للحرب غاية إلا السلام، كما في كل فلسفته الغائية وهذا ما أصر على توضيحه ارسطو طاليس مرارا وتكرارا بشكل مباشر أو غير مباشر، فقد رفض أن تكون الحرب ألة للسحق والتدمير والاستعمار، انما هي ألة لتحقيق السلام، السلام المشروع، المقام بالطرق الشرعية لا الدموية

فما للحرب من غاية الا هذه ومهما عظمت حاجة الدولة للحرب وجب ألا تكون لها غاية الا السلم، فيقول ارسطو طاليس بهذا الصدد "ان هذه المؤسسات الحربية مهما كانت رائعة ينبغي ألا تكون أبدا هي الغرض الاسمى للدولة، بل وسائل لبلوغه ليس غير، وإذا كان للدولة جيران عنى التشريع بتقدير العلاقات التي يتناسب ان تكون بينهما وبينهم الواجبات التي ينبغي القيام بها نحوهم ، (المصدر نفسه، ص٣٠١).

أما من الناحية الأخلاقية والسؤال الجوهري في مدى حضور القيم الخلقية للحرب فيعتقد بأن ارسطو طاليس ليس من النوع القاضي بالحرب لأن الحرب في جوهرها خرق للقانون والعدالة ومن ثم من المستبعد أعتمادها سياسيا لأن من المفترض على المشرع استخدامها ، (بهلول ، نسيم : ٢٠١٥ ، ص٩٨.) فلا يمكن لأي سلطة أن تعتمد في تطبيق سلطتها على خرق قانوني متمثل بالحرب، في الوقت الذي وجب عليه أعتماده الوسائل المحققة للسلم والسعادة، لذلك قد نصح الشارع أو واضع السنن والقوانين لأي مدينة أن يقوم دستوره على هذه القاعدة العقلية المحكومة بالفلسفة والحكمة ويرى ارسطو طاليس بأنه يجب على الشارع على وجه الخصوص ان يعمل على ان تكون شرائعه الخاصة بالحرب كسائر انظمته ليس لها غرض سوى الراحة والسلام.

المبحث الرابع: الحرب المقدسة و التبرير العقائدي

المطلب الاول: الشجاعة الحربية (رؤية أوغسطينية)

أن أساس المجتمع التخصص وتقسيم العمل ومن هنا ظهرت الحرف والفنون، ثم اتسع الأمر بالتبادل الى تجارة منظمة واصطنع الناس المال كأداة للتبادل وكثرت الحاجات وظهرت نوافل ليست من طبيعة الحاجات الطبيعية واتسعت رقعة الفنون والحرف، وانتقد الانسان بذلك عن حالة الطبيعة الاولى وفسد المجتمع وشهد القديس اوغسطين هذا الفساد وأراد اصلاحه وتعمق النظر عنده في اصول الحياة والإيمان وخرج بنظريات مدنية تقوم على مبادىء كثيرة تخص التربية والسلطة وطبقات المجتمع (ابن رشد : ٢٠٠٢ ، ص٧٨).

هنا لا بد من الاشارة الى ان الحاكم الجيد والحكم الرشيد هو الذي يجنب البلاد ويلات الحروب والفوضى فرجل الدولة الحقيقي يسعى إلى ما هو افضل دوما وقد لاحظنا في القرن الماضي وحتى السنوات الأخيرة كيف ان بعض رؤساء الدول ما إن ينتهي من حرب ما إلا ويبدأ بالتخطيط لحرب أخرى وكأن بقاء سلطته رهن بالحروب المستمرة فالحرب استنزاف للإنسان والثروات والاقتصاد ونشر لقيم خلقية جديدة قد تكون مختلفة وقد تكون غير مناسبة وملائمة للمجتمع واعرافه ولا نعتقد ان هناك منتصر في الحرب بل ان من سمات الحرب ان كلا الطرفين خاسرين، هذا ولما كانت سعادة الدولة بالسلم والإرادة الطيبة هي الافضل فلن تجد مشرعا حكيما يقوم بتنظيم السلام من اجل الحرب وإنما هو بالأحرى اذا ما أمر بالحرب فإنما يكون ذلك من اجل السلام ومصلحة الدولة التي لا مفر منها.

يعتقد القديس اوغسطين ان غاية كل مجتمع هي السلم، وهذا ما يتناقض مع الواقع حيث تكثر الحروب فيرى أن الحروب مناقضة ظاهريا فقط لرغبة المجتمعات في السلام وإن هذه التجارب هي من اجل تحقيق هذه

الرغبة تحقيقا يرضي إرادة الجميع ورغباتهم في سلم يكون حقيقيا ودائما لا سلما واهيا يكون كمجرد سكينة مؤقتة، وهكذا فإن القتال بين المجتمعات يهدف في خاتمة المطاف لا للقتال بحد ذاته وانما للسلم المتناسب مع أدواتها (زيعور،علي : ١٩٩٨، ص١٨١.).

ويرى شتراوس انه ليس من الانصاف أن نؤكد بلا تحفظ أن المسيحية تسبب الازدراء للجسارة الحربية، فالعهد الجديد لا يأمر الجنود بأن يتخلوا عن اسلحتهم، ولكنه بالأحرى يمدحهم على أستقامتهم وفضيلتهم (شتراوس ، ، ص٢١٦.)، ولا يتعلق الأمر بمقابلة الشر بالخير والأفعال الخارجية بقدر ما يتعلق بالميل الداخلي الذي يجب أن تؤدي به هذه الافعال، أن المسيحية تحاول أن تضمن أن الحرب أذا كان لا بد من أندلاعها تتم بتخطيط حسن ودون افراط في عنف لا مبرر له، أن الناس مجبرون في جميع الأزمنة على أن يفعلوا ما قد يفيد أقرانهم وفي بعض الحالات عن طريق العنف، بينما في حالات أخرى يجب على المرء أن لا يؤيد الاشرار في أساليبهم الشريرة او يطلق العنان للظلم ويسمح للجرائم أن تفلت من العقاب، فإن ما تذمه المسيحية ليس الحرب وإنما شر الحرب مثل حب العنف المفرط والانتقام بقسوة شديدة وكذلك الضغائن الشرسة التي لا ترحم والمقاومة الوحشية واشتهاء السلطة عن طريق الاستلام لهذه الشرور فيفقد الناس خيرا أثمن من أي من الخيرات الدنيوية والتي يستطيع العدو أن يأخذها منهم وبدلا من أن يزيدوا عدد الاخيار فأنهم لا يضيعون أنفسهم لزيادة عدد الاشرار ولذلك فأن الحروب مسموح بها ولكن يجب الا تكون مشروعة الا للضرورة من أجل السلام فأن التصميم على شن الحرب هو ما يقوم به الطاغية أو الحاكم الذي تعهد اليه رفاهية الناس و ان الذي يطيع الأوامر ليس مسؤولا عن الجرائم التي قد ترتكب في حالات الحرب لا يكون واضحا فيها أذا ما كانت الأوامر عادلة أو جائرة (مسلم حسن : ،ص٣٢٠.) .

ومع أن القديس أوغسطين يرى بأنه " ليس هنالك حرب أكثر شراسة وعنفا من حرب الإرادة والشهوة التي لا يعرف لها نهاية ولا تنتصر واحدة منها على الاخرى" (القديس اوغسطين ٢٠٠٦،ص١٦٦)، فأنه يؤيد على أنه سيكون هناك نزاع أقل بين الناس أذا ما اشتركوا جميعا في العقيدة والإيمان نفسه ولكننا نرى ومن خلال التجارب المريرة التي حدثت وخاصة في القرن الماضي و خلال الحربين العالميتين الاولى والثانية فأن اغلب الصراعات والحروب الطاحنة حدثت بين الشعوب والدول ذات العقيدة الواحدة بل بين الدول التي تحالفت مع دول تختلف معها في العقيدة واللغة والعرق والجغرافية ضد دولة بذات العقيدة و اللغة والتاريخ والعرق، فنرى بأن الاسباب السياسية والاقتصادية في شن الحروب وانتهائها اقوى وأكثر تأثيرا من العامل الديني والمذهبي فالصراع الارميني والاذربيجاني وتحالف كل طرف مع احدى الدول المختلفة معها مذهبيا كايران وتركيا اقرب حادثة تفند مسألة عدم او قلة النزاعات في حالة اشتراك الناس أو الدول بالعقيدة نفسها.

هذا ويعتقد القديس اوغسطين بأنه سواء أحب الناس الحرب أو لم يرغبوا بها فأنها أمر لا مفر منه فألاشرار وحسب الرؤية الاوغسطينية يشنون الحرب على ألاخيار والعادلين لأنهم يريدون أن يشنوها ويشنها العادلون على

الأشرار لانهم ينبغي عليهم أن يشنوها و في كلتا الحالتين تستسلم المدن الكبيرة التى تتأسس عن طريق غلبة ألاقوى على الأضعف وأفضل ما يمكن أن نأمل فيه من الناحية العملية هو أن ينتصر المسعى العادل على المسعى الظالم الجائر لأنه لا شيء يضر اي شخص بما في ذلك الاشرار أنفسهم، أكثر من أن ينجح الاشرار ويستعملوا نجاحهم في ظلم ألاخيار (Duighan ٢٠١٠–p٧٧).

هذا وأننا لا نجد تفاصيل دقيقة لدى القديس اوغسطين عن حياة الجندية و ممارسة مهامهم الحربية و شروط و مراحل التربية العسكرية كما ورد في مؤلفات أفلاطون مع أنه قد اشار الى طبقة الجنود وضرورتها في الدولة ويبدو أن القديس اوغسطين راى انه وفي حالة حدوث الحرب نجد الواجب الايماني يحكم الدفاع عن العقيدة والدولة التي تساهم في نشر العقيدة فلا نجد ذلك التحديد التام كحرفة الجندية كما هو الحال عند سابقيه.

المطلب الثاني: ابن خلدون، الحرب وأنواع المقاتلة

وأصل الحرب عند أبن خلدون(١٣٣٢– ١٤٠٦ م)، "هو أرادة أنتقام بعض البشر من بعض" واسباب هذا الانتقام في رأيه أربعة :

أولا: الغيرة والمنافسة ويتم ذلك في أغلب الأحيان بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة فهي حروب من أجل الجور على الأرض وخيرات الطبيعة، أو من أجل فرض السيطرة وتوسيع النفوذ .

ثانيا: العدوان وأكثر ما يكون في الأمم الوحشية الماكثين بالقفز لأنهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم، فهم لا يبحثون من خلال الحرب عن رتبة ولا ملك ولكن أنتزاع ما في أيدي الناس بالقوة لأن في ذلك وسيلة عيشهم.

ثالثا: الحرب كتعبير عن الغضب لله ودينه وهو المسمى في الشريعة بـ (الجهاد)، ويمكن أن يشمل كل أنواع الحروب الدينية أو التي تتخذ من الدين ذريعة.

رابعا: الحرب كتعبير عن الغضب للملك والسعي في تمهيده وهي حروب الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها وكذلك الحروب المؤسسة لا قامة الدول وفرضها (ابن خلدون: ١٩٨١، ص ٧٧) .

فمن خلال قراءتنا للنص أعلاه نجد ابن خلدون يقسم أنواع الحروب في جوهرها إلى قسمين أو بصورة أدق إلى نوعين من الحروب منها الحروب العادلة ويبدو انها تشمل الحروب الجهادية وحروب الدول مع الخارجين عليها والنوع الثاني هي حروب الفتنة أو غير العادلة ويدرج تحتها حروب الغيرة والمنافسة، والسؤال الأهم هل يمكن أن نفهم بأن ابن خلدون يبرر أخلاقيا حروب دون أخرى ويرى في بعضها نزعة شر (بغي وفتنة)، وفي بعضها الآخر نزعة خير، جهاد وعدل؟ المهم أن ابن خلدون أنتهى في شأن الحرب الى تصنيف واضح المعايير يقوم في جانبه الأول على غايات الحرب ويستند في جانبه الثاني على رؤية أخلاقية تقابل بين الخير والشر رغم ما يمكن ان يقال طبقا لهذه المعايير وفي مشروعية الحروب عموما (blogs.icr.org).

هذا ويسوغ ابن خلدون في (المقدمة)، الحرب ويبرر لمشروعيتها قائلا" أن الحرب وأنواع المقاتلة لم تزل في الخليقة منذ برأها الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعضهم البعض ويتعصب لكل منها أهل عصبيته، والحرب أمر طبيعي في البشر، لا تخلو منه أمة ولا جيل وسبب هذا الانتقام في الأكثر أما غيرة ومنافسة واما

عدوان وأما غضب لله ولدينه واما غضب للملك وسعى في تمهيده (بن خلدون: المقدمة، ص٢١٤.) .

يستنتج من ذلك:-

١- إن الحرب جوهرية، اي أنها أمر طبيعي في البشر حتمي لإرادة الله وليست أمرا عارضا.

٢- لا توجد في تاريخ البشرية المديد مدينة أو عمران بشري أو بداوة إلا وقد مر بالحرب وذاقت ويلاتها، اذ لا تخلوا أية أمة أو جيل منها وهذا بمثابة قانون عام أستنبطه ابن خلدون من سيرورة الحضارات وقانونها العام، وهو محق بذلك، لأن الشواهد عليه كثيرة كما سنبين لاحقا، فالحرب هي التي تقيم السلطة السياسية وتمسكها إذ أن هذه السلطة تصدر عن السلطة العسكرية.

٣- على الرغم من أن ابن خلدون قد تكلم غير مرة عن ميل اهل البدو الى النهب لكنه يجعل اصل الحرب ارادة أنتقام البشر بعضهم بعضا، أي أنها من فعل الإنسان وإرادته واختياره (حسن العبيدي ، ص١٠٦) ، ويبدو ان ابن خلدون لا يعد الحرب من الكوارث العابرة بل هي أحداث دائمة التكرار ومن الممارسات الانسانية للبشر على وفق الطبيعة التي الفوها.

هذا ويتمثل البعد الفلسفي في منطلقات ابن خلدون عن الحرب في معالجته لأسباب قيام الحرب وأصلها ومشروعيتها، إذ استعان بآراء الفلاسفة السابقين له في معالجتهم لمسألة الحرب سواء من اليونانيين أو من الفلاسفة المسلمين كالفارابي (ت٣٣٩-٩٥٠م)، أذ استقى ابن خلدون تصنيفه لأنواع الحرب والمقاتلة منه ولم يكتف بذلك بل أخذ من الفارابي فكرته الرئيسية عن تسويغه لمشروعية قيام الحرب، وأنها جوهرية في الطبع الإنساني معتقدا هذا الأخير أن سبب قيامها هي الغلبة أو شفاء غيظ، أو لذة ينالها أو اكتساب خير تستأهله المدينة من الخارج أو في حالة الجهاد و نشر الدعوة، إذ أن الحرب وفق رأي الفارابي هي من أعظم اسباب قيام المدن، وإن كانت نتائجها الخراب والدمار (المصدر نفسه، ص١١٠) .

ولا شك أن للبعد الجغرافي والبيئي والمناخ من أثر في النفس الإنسانية والسلوك والقيم الأخلاقية فعلى وفق رأيه أن من يسكن من البشر في الاقاليم الحارة والمتطرفة في حرارتها، أنما تكون طباعه أقرب للطباع الحيوانية الشريرية المتوحشة، أذ يمتاز هؤلاء السكان أنهم متوحشون بطبعهم يأكل بعضهم بعضا فيصبحون بعيدين عن أي فعل إنساني قيمي بعد أن تخالط ابدانهم لحوم البشر وهو ما دفع بابن خلدون أن يصف سكان البادية وأهل البدو بالصفات الوحشية كونهم بعيدين عن التمدن وحاملين للسلاح يقتاتون منه بالسطو والهجوم على الرحل فاصبحوا بذلك أولي بأس شديد، في حين يتسم من يسكن الاقاليم الباردة، أو المتطرفة بالبرودة بخصال أخلاقية هي الشجاعة والبسالة والاقدام في الحرب بتوحش وهؤلاء هم

سكان بلاد الترك والاكراد ومن جاورهم من البلدان الباردة (العبيدي، حسن: جغرافية التفلسف ٢٠١٨، ص٢٠٢).

اما فيلسوف قرطبة (ابن رشد ١١٢٦-١١٩٨م)، وكأغلب الفلاسفة اليونانين والمسلمين فقد أهتموا بموضوع الحرب والسلم والجانب الأخلاقي للحرب؛ فقد أشار ابن رشد في كتابه (تلخيص السياسة)، لموضوعة الحرب ففي المقالة الأولى من الكتاب وعند تطرقه الى اساليب التربية في المدينة الفاضلة ولا سيما الحراس أو الجند الذين سيبلغون مرتبة الرئاسة فأشار إلى أن الحرب على أنواع منها ما يجري بين فئات المدينة الواحدة وهذا ما يسمى بالفتنة أو البغي أما إذا جرى مع خارج المدينة فهذا يعتبر جهادا وهو من النوع المباح لنشر العقيدة الدينية وهو ما حدث في بلاد العرب والفرس والروم، ولكن (ابن رشد) يقف طويلا أمام مسألة أخلاقية الحرب التي لابد من ان تتبعها الأمم حين تندلع الحرب وهي مسألة تدمير المنازل والبيوت وقطع الزرع وما الى ذلك فهذه الأفعال غير جائزة على الرغم من ان افلاطون قد اجاز ذلك مع الاعداء، فعند ابن رشد الحرب على نوعين أولهما حرب لرد عدو، وثانيهما حرب لنشر فكر أو مبدأ وكلاهما بنظره حروبا عادلة، فهو هنا يتحدث عن وجود دولة فاضلة أخلاقيا ودينيا وسياسيا إلا أننا نرى بأن الحرب لا تأخذ صفة العدالة إلا إذا كانت لرد عدو معتدي على الدولة والشعب أما أن تكون الحرب لنشر مبدأ او ايديولوجيا فأن لكل الشعوب والأمم مبادئها التي ترغب في نشرها على حساب الأمم الأخرى فكيف يمكن أن يوصف ذلك بالعدالة؟ بل إنها حرب الكل ضد الكل كما ذهب إلى ذلك توماس هوبز.

المبحث الخامس: الحرب و حلم السلام الأبدي: موقف الفلاسفة المحدثين

المطلب الأول: توماس هوبز والصراع من أجل السلم

يرتبط مفهوم الحرب في العديد من الأحيان بمفهوم آخر ملازم له، وهو مفهوم السلم وقد يبدومن الوهلة الأولى أن المفهومين لا ينفصلان عن بعضهما البعض وذلك باعتبار أن الواحد منهما يعتمد في بنائه وتاسيسه على الآخر أي أنه لا يمكننا الخروج من حالة السلم الا بالدخول الى حالة الحرب ولا يمكن مغادرة الحرب إلا بالاتفاق على شروط السلم وقد يكون هذا الكلام صحيحا الى حد ما ويصح هذا القول في تلك الحالات التي تبدأ فيها الحرب دون مقدمات، لكن بعض الفلاسفة ومنهم جان جاك روسو، يميزون بين مختلف الحالات الوسيطة التي تقع بين الحرب والسلم وفي ذلك يقول روسو بانه يمكن ان يتم خلق اضطراب والتاثير على سير الحياة العامة وخلق تشويش وفوضى، لكن دون بلوغ حالة الحرب تلك.

يظهر للوهلة الأولى أن هوبز منظر للحرب بامتياز أو حتى أنه أب شرعي لخطاب حرب الأعراق ، اليس هو منظر حرب الكل ضد الكل التي انتجت حالة المدنية عن طريق التنازل عن جزء مهم من الحرية الطبيعية لصاحب

سيادة القوي و الذي يحقق السلم والأمن والاستقرار للمجتمع ويقي الإنسان شر الحرب المعممة ؟ إلا ينبهنا هوبز أن الحرب إمكانية محايدة للمجتمع ؟ ألم يجعل من شبح الحرب يطبق إطباقا على انفاس المواطنين ويجثم على نفوسهم ؟ كل هذا وما ذكرناه عن آرائه حول الصراع والتنافس قد يدفع إلى الاستنتاج التالي: إن هوبز هو مفكر الحرب بامتياز فقد وضع علاقات الحرب داخل اسس ومبادئ وانتظامات علاقات السلطة ، فهوبز ليس منظر حرب بل هو من قلائل الفلاسفة الذين جاهدوا من أجل تحييد دورها في تاسيس الدولة وقيام المجتمع وتبلور السيادة والتقليل من اهميتها في عمل السياسة والسلطة ، لقد ادرك هوبز جيدا خطورة بناء العلاقات الاجتماعية والسياسية على الحرب فما كان منه إلا أن تحدث كثيرا عن دورها وحضورها لكي يبرر أنها تلعب دوراً تأسيسيا ولنقول بحدة إنه استخدم الاستراتيجية التالية اتجاه خصومه ولقد اعترف لهم بحضور الحرب في اساس الدولة والعلاقات الاجتماعية والسياسية لكي يقضي على دورها، و لم يكن بمقدوره نفي حضور الحرب أو تجاهله لها لكنه كان قادرا على تحطيم دورها التاسيسي، كيف ذلك؟ وماذا يقصد هوبز بالحرب في الحالة الطبيعية وبماذا تتميز؟ أول ميزة لهذه الحرب انها تتأسس على المساواة وبتعبير ادق على المساواة شبه التامة، فهي ليست حرب القوي ضد الضعيف أو حرب المتوحش ضد المسالم كما انها ليست حربا مؤسسة على اختلاف الطبيعة الإنسانية أو الأخلاق أو المعتقدات (blogs.aljazeera.net).

فالحرب في حالة الطبيعة بما هي حرب الكل ضد الكل، فهي حرب تنبع من المساواة الطبيعية ، فالحرب التي تقوم على الاختلاف وهي حرب البعض ضد البعض أو حرب الأغلبية ضد الأقلية ، فنحن أمام حرب معممة حيث كل واحد هو بالنسبة للآخر هو عدو ، وهذه حالة لا يمكن افتراضها إلا إذا افترضنا مساواة شبه تامة بين الأفراد ، فلو كان الأمر عكس ذلك لكنا أمام أمرين مواجهة بين القوي والضعيف الذي سيدرك جيدا قوة خصمه ، ولن يغامر بالدخول في معركة خاسرة منذ البداية ؛ نحن إذن أمام حرب معممة لأننا أمام تكافؤ الرعب ، الضعيف ليس ضعيفا بما يكفي لكي يتنازل عن حقه بل هو يدرك جيدا امكانية هزم عدوه ، والقوي ليس قويا بما فيه الكفاية لكي يحسم المعركة ويعلم تمام العلم ان مقدار القوة التي يتفوق بها على عدوه ليست حاسمة إذ يمكن تجاوزها بالمكر أو التحالف او حتى بالحظ وهذا ما نشهده في عالمنا المعاصر اثناء قيام حرب بين الدول وقد لاحظنا تحالف دول الخليج في مقاطعة دولة قطر منذ عام ٢٠١٧ ، إذ في ٥ يونيو ٢٠١٧ قررت كل من المملكة العربية السعودية ومملكة البحرين و الإمارات العربية المتحدة و جمهورية مصر العربية قطع العلاقات الدبلوماسية مع قطر وتبعتها حكومة اليمن وجزر المالديف وكان للمملكة الأردنية الهاشمية أيضا موقفا من ذلك وكذلك اتخذت موريتانيا نفس موقف السعودية وكذلك دول أخرى اتخذت موقفا سلبيا من قطر وذلك لأسباب غير واضحة ليست موضع دراستنا هنا بل ما يهمنا قوله إن القوة لا تكمن فقط في الكائن أو الكيان السياسي القوي فحسب بل هنالك اساليب كثيرة للتعبير عن مجال القوة

والغلبة وهنالك الكثير من الامثلة عن الحروب التي حصلت ولعل ابرز مثال على هذا المقام الحرب الامريكية مع فيتنام او ما يسمى بالحرب الهندوصينية الثانية ابتداءا من ١ نوفمبر ١٩٥٥ وإلى ١٥ اغسطس ١٩٧٣ ، إذ نجم عن هذه الحرب اكثر من ٣ ملايين قتيل وجوهر المسالة يكمن في القول إنه مع الاختلاف في موازين القوة ولكن التحالفات بين الاطراف المتحالفة المتحاربة قد تغير نتائج الحرب فما يعتقده هوبز بهذا المضمون عين الصواب سواء في الحالة الفطرية أو الطبيعية أو في العلاقات الدولية أو النزاعات الدولية.

ولهذا يقرر هوبز عدم المغامرة ويتفادى الحرب، وهذا التفادي لا يكون بإظهار الضعف، ففي ذلك تشجيع للخصم على المواجهة وأنما بإظهار مزيد من القوة والرغبة في القتال لكي يتفادى الحرب عليه وأن يرهب عدوه وكل واحد بالنسبة لكل آخر على هذا الحال والنتيجة نوع من الخوف المعمم حيث يخشى احدهما الآخر و يخشى الهجوم وبدء المعركة، (اليعكوبي ٢٠١٦ ، ص١٥٢.)وهذا حال الدول وما نلاحظه من تغيير المواقف بين الدول والجماعات بين ليلة وضحاها وأحيانا تصل إلى الحرب المباشرة دون سابق انذار هذا ناهيك عن الحروب الاقتصادية والتنافس المستمر الذي هو اقرب الى الحرب منه الى المنافسة ، هذا مما جعل البشرية تحت سيطرة جماعات تمتلك القوة المفرطة بل يملكون كل أسباب الدمار وتحطيم البشرية والانسانية بل حتى الطبيعة والبيئة هم يسعون جاهدين لامتلاك المزيد والمزيد من القوة في المجال العسكري والاقتصادي والسياسي وحتى السيطرة على الفضاء ويستمرون في شن الحروب فهي سبب بقاءهم بل هم يسعون لتدمير البشرية باي وسيلة كانت وقد لجأوا اخيرا إلى الحروب البايلوجية من خلال نشر الامراض والاوبئة بين الناس كما يحصل حاليا في العالم اجمع وما تعانيه من جائحة فايروس كورونا أو ما يسمونه ب كوفيد–١٩ ، هذا ناهيك عن الحروب الالكترونية والحروب المباشرة خاصة خلال القرن الماضي وحدوث حربين عالميتين راح ضحيتها الملايين من البشر من النساء والأطفال والأبرياء ، هذا وتتميز الحرب عند هوبز بخصائص عدة أبرزها:

أولا: حساب وتمثل قوة الخصم..

ثانيا: استعراض القوة والرغبة في القتال .

ثالثا: استعمال تخويفات متبادلة ، فإنا أخاف من الحرب ولن يهدأ روعي إلا إذا خاف خصمي هو الآخر منها.

هكذا هي حالة الحرب التي يتحدث عنها هوبز فهي ليست حربا فعلية وإنما حالة الاستعداد للحرب ، ولا بد من الاشارة إلى أن نظرية توماس هوبز قد تاثرت بالاحوال السياسية التى انتشرت في عصره وكان اكثر ما يخشاه وينفر منه هو الانشقاق الداخلي والحروب ، لذا كانت آراءه تنشد الآمن والسلام والطمانينة بأي ثمن كان ، أما فكرة القيود والضوابط كما عرضها (جون لوك) فيما بعد فكانت عن أسلوبه في التفكير على أن طريقة معالجته للمسائل السياسية على الرغم من تحررها من الخرافة والنزعة الصوفية، كانت تميل على حد قول (برتراند رسل) إلى الأفراط في تبسيط المشكلات ولم يكن تصوره للدولة كافيا لمواجهة الموقف السياسي الذي عاش فيه (رسل ، ص٦٢.).

نعتقد أن هوبز عمل على إقصاء الحرب وتحييد مفاعيلها على مستوى البناء السياسي والاجتماعي فخطابه هو نوع من اللاحرب ، فليست الحرب هي الحقيقة التى تولد الدول وليست هي التى توجد مكتوبة في علاقات السيادة او ترافق السلطة المدنية، وفي هذه التفاوتات — اللاتماثلات الداخلية لعلاقات القوة التى تظهر في فعل المعركة ذاتها . فإن ما أراد هوبز وحسب تحليلات (فوكو) ، التى ترتكز عليها ابرازه ان السيادة والسلطة والسياسة لا تتأسسان على الحرب وانما على إرادة المحافظة على الحياة فلا يهم ان يكون هناك اكراه أو عنف اذ يكفي لكي تكون هناك سيادة ان تكون هناك إرادة جذرية تجعلنا نريد ان نحيا حتى اذا اقتضى الأمر الاستعانة بإرادة الآخرين وفي جميع الآحوال ليست الحرب هي التى تؤسس للحقل السياسي وإنما إرادة الحياة والسلام ، فقد كان يمكن لحالة حرب الكل ضد الكل أن تتحول الى حرب فعلية وكان من الممكن أيضا أن يستمر المنهزم في القتال لولا ارادة الحياة لتنهي إرادة الصراع (ليعكوبي ، ص٢٥٩).

لّما كان هذا حال الإنسان الفرد فكيف يمكن أن يكون في حالة الإجتماع ؟ وكيف يمكن أن تكون علاقات الإفراد فيما بينهم ؟ بهذا الصدد يقول هوبز " إنه لمن الواضح أن الناس حين يعيشون من دون قوة مشتركة تلقي في نفوسهم الرعب ، فإنهم يكونون في تلك الحالة التي نسميها بأسم حالة الحرب ، وهي حرب يشنها كل إنسان ضد كل إنسان، أي الإنسان للإنسان ذئب ، والواحد في حرب ضد المجموع" والحياة مجال للقوة الباطشة عند الأقوياء ، وللخداع والمكر والتحايل عند الضعفاء.

ولابُدّ ان نذكر بأن (هوبز) ، لا ينسى أن يذكرنا بأن الحرب قد لا تعني القتال أو العراك ، بل يشير إلى تلك المدة الزمنية الممتدة التي تسود فيها أرادة التنازع عن طريق العراك المستمر ، وتبعاً لذلك فأننا لابدّ أن نفهم الزمن فيما يخص طبيعة الحرب على نحو ما نفهمه في طبيعة (الجو) ، فكما آن طبيعة الجو الردئ لا تتمثل بنزول المطر مرة أو مرتين ، بل في آستمرار أكفهرار الجو ايام عدة متواليات ، كذلك لا تنحصر طبيعة الحرب في قيام معركة فعلية ، بل قد يكون في استمرار روح العدائية التي تقضي على كل ثقة في أمكان قيام حالة سلمية، وما عدا ذلك فهو في صميمه ضرب من السلم .

وبالتأكيد في مثل هذه الظروف (حالة الحرب) ، المعلنة وغير المعلنة ، لا يكون ثمة موضوع لأية صناعة ما دامت ثمار الانتاج ستكون بالضرورة معرضة للخطر ، ومن ثم لن يكون ثمة فلاحة للأرض ، أو ملاحة أو أستخدام لسلع تستورد عن طريق البحر، أو اهتمام بتشييد أبنية ملائمة ، أو ألات لتحريك الأشياء الثقيلة أو نقلها من مكان إلى آخر ، أو معرفة بالحالة الجغرافية لسطح الأرض ، أو حساب للزمن ، أو فنون أو آداب أو حياة اجتماعية ، والأدهى من ذلك كله ، أن الخوف يصبح ظاهرة عامة مستمرة ، فيخشى الناس خطر الموت العنيف (أكبر الشرور وأقساها) وتصبح حياة الأنسان أنعزالية وفقيرة وكريهة ووحشية وقصيرة الأمد ، ولا يكون هناك صواب أو خطأ ولا عدل أو جور ، مادامت قاعدة الحياة في هذه الحالة هي "لا يملك المرء الا ما

يستطيع الحصول عليه ويملكه مادام يستطيع الاحتفاظ به" ، وبهذا الصدد يقول هوبز " بأن من له الحق في الغاية له الحق في الوسيلة التي يراها مناسبة لتحقيق غايته"، فهذه الحرية الممنوحة للأفراد في حالة الطبيعة تسمح لهم بوضع اليد على كل شيء يجدونه أمامهم ، فليس هناك ملكية خاصة لأحد ، فالكل يملك كل شئ ، ومن ثم لا أحد يستطيع فعل ما يشاء ، فليس هنالك سيد ، فحيث الكل سيد فالكل عبيد ، فالطبيعة اعطت الكل للكل.

هذا فأن السياسة عند هوبز هي فن تحويل الحرب إلى سلام، أما عند لوك فهي فن الحفاظ على السلام ضد الحرب، وما السياسة عند هوبز إلا استمرار للحرب بوسائل اخرى، بينما هي في رؤية لوك استمرار للسلام بوسائل اخرى ويتنزل روسو في فضاء اشكالي قريب من مدرسة هوبز و لوك فبالنسبة اليه تكون صورة التفكير هي التفكير في الاصل (التريكي، ر٢٠١٥، ص٧٣).

والحقيقة أن روسو يدحض أطروحتي هوبز و لوك ببيان أنهما لم يفكرا فعليا الا في اصل مغلوط، لقد ظل كل منهما بصورة جوهرية في الخطأ نظرا لانهما نقلا ما هو موجود حقيقة في الحالة الاجتماعية الى الحالة الطبيعية، إذ يرى روسو أنه وفي النهاية ومن خلال الحديث دون انقطاع عن الحاجة والجشع والظلم والرغبة في التكبر،نقلا أفكارا إلى الحالة الطبيعية استمداها من المجتمع وكانا يتحدثان عن الإنسان المتوحش (يقصدان البدائي) و يطعنان في المقابل في الإنسان المدني وتكمن نقطة الانفصال بين روسو وفلاسفة السياسة الاخرين اذن في نمط فهم الأصل، ويصبح الأصل مفهوما داخل تفكير روسو في النطاق الذي يقطع فيه مع كل ايديولوجيا للأصل تخلط بين الحالة الأصلية وبين الحالة الاجتماعية الموجودة.

هذا وان روسو يعتقد وبما ان غاية الحرب هي تقويض دولة العدو فان من الحق قتل حماتها مادامو حاملين سلاحا فاذا ما وضعوا هذا السلاح وسلموا انفسهم عادوا لايكونون اعداء او اداة للعدو بل صاروا اناسا فقط ولايمتلك احد الحق في نزع حياتهم ومن الممكن احيانا قتل الدولة من غير قتل احد من اعضائها ولا تمنح الحرب في الواقع حقا غير ضرورى لبلوغ غايتها وانما تشتق من طبيعة الامور وتستند الى العقل. هذا ولايمكن تفسير اصل الحرب بحسب روسو انطلاقا من العواطف السلبية الناشئة عن الحفاظ على الذات من الاخرين كما كان هوبز يعتقد، يكم اساس الحرب في السعي الى السلام بعيدا عن ان تكون حالة الحرب طبيعية بالنسبة للانسان فتولد الحرب من السلام او على الاقل من الاحتياطات التي اتخذها البشر لضمان سلام دائم، انها انتقال من حالة الفرد الطبيعية السلمية الى حالته المجتمعية العنيفة، كان الفرد يعيش في تناغم قبل ولادة الشعور المدني الذي دعا الى ضرورة حل الخلافات بين المجتمعات وهنا يكمن اساس اطروحة روسو السياسية التي يعارض بواسطتها طروحات هوبز عن اسس العنف الحربي فلا تولد الحرب من منظور روسو الا من داخل المجتمع ومن مؤسساته التي تعكس طبيعة الهيكل السياسي لشعب معين، ولا ينبغي التفكير في الحرب. اذن من منظور الفرد وعواطفه بل من تكوين تاريخي للدولة ومن العلاقات التي تقيمها مع الدول الاخرى لذا

تمثل الحرب مشروعا يتجدد بهدف تدمير سيادة الدولة الاخرى او الاستيلاء عليها، اذ تعارض اطروحة روسو تماما افكار هوبز حيث يعزو هوبز وكما اسلفنا الحرب الى طبيعة البشر العدوانية والدولة هي من يسيطر ويخمد العنف في حين ان روسو يقلب هذه المعادلة عندما يرجع سبب الحرب الى التنظيم الاجتماعي نفسه لا الى طبيعة البشر ما قبل المجتمع لذا يرى روسو انه يجب عدم الخلط بين سلوك الانسان في المجتمع مع طبيعته الانسانية اذ يعيش الانسان في المجتمع وطبيعتهم ليست واقعية واقعية وقابلة للتحقيق حسب روسو بل مصطنعة لان الانسان بدائي بالغريزة ويبقى المجتمع تنضيما غريبا مفروضا عليه (جان جاك روسو : ص٢٥٤ ومابعدها.).

المطلب الثاني: رؤية جورجيو اجامبين

وبذات الصدد نود ان نعرج الى راي الفيلسوف الإيطالي (جورجيو أجامبين) في كتابه «حالة الاستثناء– ٢٠١٣» اذ يعتبر من أهم الكتب التي تناولت قضية الاستثناء في العلاقة بين القانون والواقع ، ويُفهم من الكتاب أن حالة الاستثناء هي عتبة تحول النظم إلى الشمولية الحديثة ، لكن أجامبين لا يُفسر لماذا لم تتحول دول مثل الولايات المتحدة إلى الشمولية بالرغم من لجوئها إلى حالة الاستثناء في العديد من سياساتها وخصوصا الخارجية منها والمثال على ذلك عندما قرر الحرب على افغانستان وحركة طالبان وكذلك القرار على شن الحرب ضد بغداد والقرار بالحرب على الارهاب دون تعريف واضح لمفهوم الارهاب هذا مع اننا ضد العنف المفرط بكل اشكاله وخاصة ضد المدنيين العزل والنساء والاطفال ، لكنه يساعد بالطبع في تفسير سلوك أنظمة قمعية مثل تلك النظم الحاكمة لمعظم العالم العربي ، كأن الأمر يعتمد على الظروف التي يحيى فيها النظام السياسي ، و يشير ذلك إلى بعض الذاتية اللاحقة بالفعل وهو ما لم يُركز عليه أجامبين في حديثه عن ماهية حالة الاستثناء.

ويرى الفيلسوف الإيطالي جورجيو أجامبين أن الجائحة – التي تشكل أكبر تهديد للأمن البشري منذ الإنفلونزا الإسبانية قبل قرن من الزمان – تجعل إنسانيتنا المشتركة تشكل تهديدا أمنيا محتملا، فالعدو داخلنا هذه المرة وليس تهديدا خارجيا كما ذهب الى ذلك توماس هوبز فى كتابه (اللوياثان) حيث عند الشك بكل شيء وكل فرد الا الذات والان المعادلة تغيرت حيث الشك بالذات والاخرين بنفس الوقت ونفس الدرجة من الحذر والخوف ، إذ ينظر الناس لبعضهم بعضا على أنهم حاملون متوقعون للفيروس والمرض الفتاك في كل ان وفي كل مكان بحيث اصبح الانسان حقا ذئب لاخيه الانسان .

وكان أجامبين قد انتقد ما سمّاه البعض بـ "استعداد الإيطاليين للتضحية بكل شيء – بما في ذلك الحياة العادية وعلاقاتهم الاجتماعية والعمل والصداقات والمعتقدات الدينية والسياسية – لتلافي خطر الإصابة بعدوى كورونا" والاحتفاظ بحياتهم و كما ذهب هوبز الى ان ديمومة العيش بامان اولى اسباب نشاة العقد الاجتماعي والتنازل عن الكثير من الحريات.

ويرى أجامبين أن هذا الخطر المشترك لا يوحد الناس وإنما يعميهم ويعزلهم عن بعضهم بعضا، إذ ينظر للبشر حاليا على أنهم مصدر عدوى وخطر محتمل، محذرا من

أن "الخوف من فقدان الحياة يسهل أن ينبني عليه استبداد وحشي"، مستدعيا صورة وحش (اللوياثان) الشيطاني المعروف في الديانتين المسيحية واليهودية. وايضا استعار هوبز صورة التنين من الكتب المقدسة فيما بعد لتكون رمزا تعبيريا و سياسيا ودينيا وسلطويا لدولته القوية .

المطلب الثالث : توفلر ومبدأ التغيير وتطور موجات الحروب

كل حرب هي صراع حتى الموت، يفكر (كلاوزوفيتش) و(هيغل) في الحرب في (شكلها المطلق)، انهما يحاولان تفكيك معنى مفهوم الحرب ونمط اشتغاله، الحرب لعبة جدلية، انها لعبة قمع واعتراف بين خصمين وبدافع الرغبة في الحفاظ على الحياة يضطرالى المجازفة بها كي نقضي على حياة الاخرين، غير ان الاخر يقوم بالعمل نفسه فينشأ بالضرورة (تأثير متبادل)، في العلاقات البشرية مجسما وعلى وجه الخصوص في الحرب ولهذا فان مفهوم الحرب يتمفصل في لعبة جدلية بين المعسكرين المتخاصمين. ويفيد ما اصطلح عليه كلاوزوفيتش (نمو قواه او امكانياته الى الحدود القصوى اى حركة العنف الخالص) ان نفي الاخر ذو طابع جدلي بما يعنى بالضرورة نفيه ويصبح الصعود الى الحدود القصوى في هذا المعنى ضرورة منطقية وجدلية انه نفي اجمالي وهو عنف خالص (التريكي، ص١٦١).

فهيروشيما هي رمزالصراع حتى الموت وهي ايضا رمزالصعود الى ما هو اقصى للحرب على الطراز الكلاسيكي ويمثل القاء القنبلة الذرية على هيروشيما سنة ١٩٤٥ في نهاية الحرب العالمية الثانية تاكيدا لمسلمة كلاوزوفيتش المركزية، الصعود الى الحدود القصوى وهكذا مكن الولايات المتحدة من ادخار مصاريف مواصلة الحرب من اجل اخضاع الارادة اليابانية. تعد هيروشيما نتيجة الصراع الداخلي من اجل السلطة الاقتصادية بين الدول الرأسمالية نفسها وهكذا كان كشف الصعود الى اقصى الحدود الخاصة بالحرب الكلاسيكية في القنبلة الذرية عقلانيته الاخيرة.

هذا وقد ذهب (ال توفلر– نسبة الى الفين توفلر وزوجته هايدي توفلر) في نظريته بما تسمى بالموجات الثلاث الى ان فهم الحرب والتغيرات التي طرأت على الحرب وشكلها المعاصر و ملامح مستقبلها ينطلق ال توفلر من ربط مسار الحرب واشكالها بمسار الحضارة واشكالها وذلك من خلال نظريتهم الموجات الثلاث التى عرفها التاريخ الانساني وحضارته والمسلمة التي انبنى عليها جزء مهم ومن تحليلهم هو ان شكل الحرب يعكس شكل الانتاج لكل حضارة وهذا يعنى في نهاية التحليل تبعية الحرب وكذا السياسة للاقتصاد و هذا ما نتفق معه الى حد ما لما صار لتداخل الاقتصاد في السياسة بشكل كبير وحتى في المجالات الاخرى و حتى سياقات العمل والعلاقات الدولية باتت خاضعة للقرارات الاقتصادية. هذا وان الفين توفلر يقسم الحضارة الانسانية الى ثلاث موجات او حضارات منها، اولا: الحضارة التي ابتدات مع الثورة النيوليتية حوالي خمسة الاف سنة قبل الميلاد انها حضارة فلاحية مرتبطة اشد الارتباط بالارض. ثانيا: الحضارة الصناعية وتبدا من القرن السابع عشر والمرتبطة بالثورة العلمية والصناعية التي دشنتها الالة البخارية وفيزياء نيوتن وثالثا: حضارة المعلومات والذهن والفكر

حضارة الحاسوب والاختراع والتنظيم والخدمات (ar.m.wikipedia.org //https). فأنطلاقا من هذا التمييز يميز الفين توفلر بين ثلاث اشكال من الحرب وكل شكل مرتبط بموجة من الموجات:

١- حرب الموجة الاولى: الحرب وليدة المجتمعات الفلاحية (المجتمعات ما قبل الفلاحية لم تعرف الحرب بل شهدت النزاعات والصراعات) وبنت الثورة الفلاحية اي الموجة الاولى لانها تتطلب فائض انتاج يمكن استثماره في مجهود الحرب وقد تتميز حرب الموجة الاولى بانها كانت نشاطا موسميا وارتكزت على المواجهة المباشرة والتواصل المباشر من حيث الاوامر والرسائل.

٢- حرب الموجة الثانية: لقد احدثت الثورة الصناعية كما هو تغييرا عميقا في حياة الانسان وعلومه ونمط انتاجه للخيرات، كما غيرت شكل حروبه وتميزت حروب هذه الموجة بـ:-

أ- نظرا للانتاج الصناعي الضخم فقد عبرت الحرب عن ذلك من خلال مبدأ التدمير الضخم و الشامل فمثلما يستهدف الانتاج الصناعي شرائح اجتماعية واسعة كذلك الحرب لم تعد قضية خاصة تعني مثلا الامير او فئة معينة بل صارت شأنا عاما بل قضية وطن ودولة وشعب باكمله.

ب- التعميم وتقسيم العمل وهو احدى مبادئ الانتاج الصناعي الرئيسية اذ يسمح بتطوره السريع ويقتصد الجهد والوقت وقد صار هذا المبدأ ايضا من اهم مبادئ الحرب الموجة الثانية. وكذلك البيروقراطية والعقلنة والتقنية كل ذلك تعتبر من مبادئ الثورة الصناعية فكذا الحال في الحرب وما رافقته من تطور في تقنيات الحرب بشكل كبير من الاسلحة بمختلف اشكالها ووسائل الاتصال والتواصل الى وسائل التشويش والتجسس) التريكي، فتحي :المصدرنفسه، ص(.34.

لقد اضحت الحرب مسألة صناعية واضحى معها للموت صناعته المتطورة وتجارته الرائجة خارجة عن مفاهيم القيم الخلقية و اصبح لها سوق مزدهرة ما ادى الى تغيرات عميقة في مفهوم الحرب من الرؤية الكلاسيكية الى الحرب كما كان عند سان تزو الذي يتناسب مفهومه مع حرب الموجة الاولى وصالحة في عصره خاصة رؤيته حول ربح المعركة دون قتال و الحرب دون معارك.

٣- حروب الموجة الثالثة: بما ان كل تحول حضاري يؤدي الى اعادة النظر في نمط الحرب السائدة وبناء شكل جديد يضاف الى الشكلين السابقين نشأت حرب الموجة الثالثة وبدأ تشكل هذه الحرب منذ السبعينات وما زال تطورها مستمرا، و ظهرت ما يسمى بـ الحروب التقنية اذ تقوم الحروب اليوم على الذكاء وتستخدم التكنلوجيا الحديثة في مجال التقنيات الحربية والاستخباراتية وربما تمثل هذا الشكل من الحروب بأخطر انواع الحروب وقد يسمى بـ الحرب عن البعد خاصة ان

اسلوب الحياة اختلف الان عن العصور السابقة حيث ان الاغلبية العظمى من سكان العالم يعيشون في المدن المكتضة بالسكان فلا يتم خوض الحروب في الصحراء بل اصبح الفضاء الالكتروني والتقني مجالا لخوض الحروب المدمرة من خلال ارسال فايروسات كما حصل مع البرنامج النووي الايراني في عام٢٠١٠ والحال في انظمة المياه والكهرباء والصحة والبيئة وغيرها من المجالات الحيوية واذا ما صح بأن انتشار مرض كوفيد – ١٩ صناعة بشرية فبذلك يمكن القول بأن الحروب ستدخل مرحلة اقل مايمكن ان تسمى بالحروب الشاملة الخبيثة.

المبحث السادس : الحرب و الأشكالية الاخلاقية

أن من أكثر الافكار شيوعا حول نظرية الحرب العادلة هي التي تدور حول مطلبين اساسين وهما:–

أولا: عدالة اللجوء الى الحرب في المقام الاول .

ثانيا: العدالة في سير و سلوك الحرب.

وأن اغلب مفكري الحرب والباحثين ومنهم اصحاب السطور يعتقدون بان هذين المطلبين يجب ان يكونا مستقلين عن احدهما الاخر .

وحول سلوكيات الواجب اتباعها في الحرب هناك على العموم ثلاثة وجهات نظر هي: الواقعية، السلم ، نظرية الحرب العادلة، حيث تقول وجهة النظر الواقعية بأنه لا يوجد اي اخلاق في الحرب لان الحرب لا تنطبق عليها هذه التسمية كما ان الدولة تفكر فقط بمصلحتها الوطنية حتى وان ادى ذلك الى شن الحرب على دول اخرى وهذا يعنى بان بأمكانها نهج كل السبل للظفر بالحرب مما يعني عدم وجود اي اخلاقيات في ممارسة الحرب والعلاقات الدولية وتجدر الاشارة الى ان كل من الفيلسوف البريطاني توماس هوبز والمفكر الايطالي مكيافلي قد تبنا هذة الاطروحة وهناك نوعين من الواقعية، الواقعية الوصفية والواقعية المفروضة، والواقعية الوصفية تعني بانه ليس بامكان الدول التصرف باخلاقية في حالة الحرب مع الدول الاخرى وكذلك الحال في الشأن الدولي مع الاخرين لان هناك تنافس، اما الواقعية المفروضة فهي تقول بان الدولة يجب عليها عدم المبالاة او اهمال الاخلاق عند التعامل مع دولة اخرى لحماية مصالحها اي لايجب التعامل باخلاق في وقت الحرب

أما السلم فالمفكرين والباحثين يعتقدون بعدم وجوب اللجوء الى العنف او الحرب ابدا لان سبب المعاناة والعواقب والشر الناتج من الحرب لذا فانه تصرف غير مبرر وان جذور هذه الافكار تعود قديما الى المسيحيين الاوائل وكتاب العهد الجديد للانجيل، ولكن مفكرين من امثال القديس اوغسطين وامبروس يرون باتجاه وتفسير اخر ويذهبون الى ان بعض المسيحيين الاوائل قد أساءوا تفسير بعض ايات الانجيل وان العنف ضد الاشرار هو ضروري احيانا اما حول نظرية الحرب العادلة فتعود اثارها الى فكر القديس اوغسطين الذي يعتبر ابا لهذه النظرية حيث يعرف الحرب العادلة بأنها تلك التي تنتقم من الشرور والعدوان عندما تكون الامة او الدولة في ظل هكذا خطر لذا يجب معاقبة ومواجهة المخطئين و اعادة الحياة الى طبيعتها انها الحرب العادلة التي امرنا بها (الله)، ويبدو هنا بأن القديس اوغسطين ليس من

انصار السلم لانه يعتقد بوجوب مواجهة الاعمال العدوانية ومنتهكي القانون و مرتكبي الشرور لان الله يامرنا باعادة السلام والنظام ومن انصار نظرية الحرب العادلة ايضا نذكر الفلاسفة امثال توماس اوكويناس الفيلسوف الهولندي (التريكي، فتحي: المصدرنفسه، ص٣٤.).

هذا ويمكن القول بأن هنالك ثلاثة مبادئ للحرب العادلة:-

١- عدالة الحرب، اي انها تبرر اللجوء الى الحرب في المقام الاول لايجاد اذ كان شن الحرب قد تم بشكل عادل او غير عادل .

٢- مبدأ سلوك و سير الحرب، او هو تبرير لاجراء الحرب اثناء سيرها زمنيا ونعني بذلك سلوك المحاربين من حيث عدم التمييزفي المعاملة بين الجنود والسكان المدنيين البريئيين واسرى الحرب الجرحى والاطفال والنساء و كبار السن، فيجب التعامل معهم بالحسنى لا بالعنف والترهيب وكذلك عدم استخدام الاسلحة البايلوجية والنووية التي من الصعب السيطرة عليها أثناء الهجوم والتعذيب للجنود الاسرى والابادة الجماعية والثأر وما شابه ذلك، وحول منع استخدم الاسلحة النووية والبايلوجية الابادة الجماعية لابد من اتفاقيات وتعهدات وقررات دولية لمنع ذلك ومع انه هناك معاهدة حضر الاسلحة النووية على نحو شامل والمختصر والملخص بـ (Tpnw)، بهدف المضي نحو القضاء التام على هذه الاسلحة، وقد حررت هذه المعاهدة في ٧يوليو ٢٠١٧ وتحتاج هذه المعاهدة الى موافقة ٥٠ دولة حتى تطبق وتمنع هذه المعاهدة الدول المصادقة عليها من تطوير واختيار وانتاج وتخزين واقامة ونقل واستخدام والتهديد باستخدام الاسلحة النووية بالاضافة الى حضر المساعدة والتشجيع على هذه الانشطة المحضورة (لتريكي، فتحي: المصدرنفسه، ص٣٥.).

٣- المبدأ الخاص بأنهاء الحرب، وهذا المبدأ لازال خاضعا للبحث والنقاش دوليا ونعنى به قيام الدولة بعمل تسويات سلمية نسبية مع العدو والتي يتم الاعلان عنها صراحة وهي التسوية والتي تضمن حقوق الانسان الاساسية، وكذلك تقديم التعويضات للدولة الاخرى وضرورة محاكمة الدول المعتدية دوليا واذا وجدت مذنبة يجب فرض العقوبات الجزائية عليها وضمان حقوق الانسان لشعب الدولة المتضررة وان تقوم المعتدية بدفع التعويضات المماثلة بعد الحرب جراء ما سببه من اضرار وخسائر.

الحرب كمشروع لا عقلي:

الحرب وكما يخبرنا الان باديو(جريمة عاطفية)، ليس لانها تقتيلا وفظاظة ومعاناة وانفجارا للعنف وانما على وجه الخصوص لانها نسف لكل انسانية في الانسان عبر نسف كل مجهود لتحقيق العدل وعبر اعادة السديم ضديد- الانساني فهي تقنع ماهيتها وتعطي قناع العدل والحق بايجاز، الحرب هي الفساد الاخلاقي الاساسي، انها انفعال ولانه لا عقل لها فأن الانفعال صراع، و

يرى الان باديو ان (الشعب في الحرب مثل الجريح الذي يمزق ضماداته) ، ان صعوبة الحرب ان هذا العنف هو ضد انفسنا و الذي نجده في كل انفعال، الحرب هي دائما الشيء نفسه هي عنف ميكانيكي انها ثأر على ثأر وهي عدل مسحوق وهي انسانية مذمومة انها الكذب الممدوح انها السرقة المشروعة ومملكة الاشرار والطغيان بداخلنا (لتريكي، فتحي: المصدرنفسه، ص٣٥.)

انه وعندما تتناول الفلسفة الحرب موضوعا لخطابها فأنها تبادر الى الحديث عن السلام، انها تحبس نفسها من خلال خطابها عينه في مختلف مشكلات المعنى وفي متاهات الحقيقة وفي مثالية الوفاق والوحدة ، لا يمكن لخطابها ان ينفصل عن العمل التكويني الذي انشأها، من ذلك استبعاد كل تناقض وكل صراع، وهذه الحلقة من تفكيك معنى الحرب تحت عناء تحطيمها الذاتي، ولهذا فأنه لا يمكنها سوى تشويه هذا المفهوم عبر دمجه، وهي تكتشف بذلك خصيمتها الاستبعادية وفي هذا المعنى يظل الخطاب الفلسفي عن الحرب في النطاق الواسع غير مشروع وازاء هذا الحال ينبري الخطاب الفلسفي نحو طرح ضرورة اعداد خطاب جديد، يحاول ان يكون هذه المرة شرعيا وقريبا من طبيعة الحرب، وهو الخطاب السياسي، فالخطاب الفلسفي خطاب سلام اما الخطاب السياسي فخطاب حرب، اذ يعرف ماكس فيبر السياسة على انها حقل صراعات وحروب بين البشر وبين الاحزاب وبين الامم ومن واجب الفيلسوف الوفي عدم الدخول ابدا في الحرب، بمعنى في الشر، وحتى ان كان مضطرا الى تلطيخ يديه، فأن الحكمة تملي عليه البحث عن حل لهذه الوضعية النزاعية هذا ونرى بان السلام صناعة معقدة وهو نتيجة كل مجتمع معقلن ومدني ولكن على ان لا تشرعن الجرائم تحت اسم وحالة السلام المغلوط، كما نلاحظ الكثير من الممارسات القمعية والتعسفية مثل السجون والمعتقلات والنفي والتلقين الفكري وكل اشكال القمع الاخرى لتصبح وسائل مشروعة لتحقيق السلام والامن و بهذا الحال فالوصف الانسب هو انه سلام مزيف .

فالحرب حدث من الصعب جدا تفاديه في حياة البشرية ، ولكن قد يمكن وضع بعض القوانين الملزمة للحد من وقوع هذا الحدث المدمر وان وقعت الحرب محاولة تقليل الدمار الى اقصى حد وخروج الاطفال والنساء و كبار السن والابرياء من هذا الصراع وكذلك تجنب العنف المفرط ومراعاة التعامل الانساني مع اسرى الحرب، فالحرب أسوء حوار أنساني لابد أن تكون الغاية هي لغة السلام الابدي وليس السطوة والغلبة وفرض الارادة على الاخرين فمن حق الجميع العيش بسلام وعلى عاتق الجميع تقع المسؤلية و بالتحديد الدول اصحاب القرار والتاثيروالنفوذ على المستوى الدولي.

النتائج:

من خلال دراستنا الموسومة، فلسفة الحرب والأشكالية الاخلاقية، دراسة تحليلية، نستنتج النتائج التالية:-

اولا: الحرب ظاهرة تاريخية مرتبطة بالوجود البشري، ولم تعد الحرب ظاهرة مخيفة فحسب، بل انها في صورتها وممارستها ومألاتها تبدو شرسة ومدمرة ولا انسانية.

ثانيا: على الرغم مما سبق في الفقرة اولا، فالحرب قد تكون ضرورة، بدونها لا يمكن ان يوحد الشعب حقيقة

فبواسطة الحرب ينتظم الشعب في وحدته العملية لحياته الداخلية ويكتشف ذاته ويتطابق مع واقعه التجريبي.

ثالثا: هنالك عدة انواع من الحروب تختلف في طبيعتها وشكلها وكذلك قواعدها والاسلحة والادوات المستخدمة في الحرب بين الطرفين او الاطراف فمنها حروب مباشرة وفعلية ومنها حروب غير مباشرة.

رابعا: ان الباحثين يتفقون حول مضمون التمييز بين الحرب والنزاع ويعتبر افلاطون كل حرب تشن مع دول او جماعات اخرى خارج الدولة حربا اما الصراعات التي تحدث داخل الدولة فيمكن ان توصف بالنزاعات الداخلية ، فالحرب تحدث بين الاعداء مثلا بين اليونانيين والبرابرة ، اما قتال اليونانيين مع بعضهم فذلك لا يمكن تسميتها حربا.

خامسا: من اجل ان يكون المرء عضوا في الاجتماع الانساني الافضل، عليه الانخراط في اخلاق عادلة تكون ظهيرا للمساواة وتهدف الى أنشاء سلم دائم ونهائي.

سادسا: يعتقد القديس أوغسطين بأنه سواء أحب الناس الحرب أو لم يرغبوا بها فأنها أمر لا مفر منه فألاشرار و حسب الرؤية الاوغسطينية يشنون الحرب على ألاخيار والعادلين لأنهم يريدون أن يشنوها ويشنها العادلون على الأشرار لانهم ينبغي عليهم أن يشنوها و في كلتا الحالتين تستسلم المدن الكبيرة التى تتأسس عن طريق غلبة ألاقوى على الأضعف وأفضل ما يمكن أن نأمل فيه من الناحية العملية هو أن ينتصر المسعى العادل على المسعى الظالم الجائر لانه لا شيء يضر اي شخص بما في ذلك الاشرار أنفسهم، أكثر من أن ينجح الاشرار ويستعملوا نجاحهم في ظلم ألاخيار.

سابعا: ابن خلدون يبرر أخلاقيا حروب دون أخرى ويرى في بعضها نزعة شر(بغي و فتنة)، وفي بعضا الاخر نزعة خير، جهاد وعدل؟ المهم أن ابن خلدون أنتهى في شأن الحرب الى تصنيف واضح المعايير يقوم في جانبه الاول على غايات الحرب ويستند في جانبه الثاني على رؤية أخلاقية تقابل بين الخير والشر رغم ما يمكن ان يقال طبقا في هذه المعايير وفي مشروعية الحروب عموما.

ثامنا: المبدأ الخاص بأنهاء او التقليل من ويلات الحرب، وهذا المبدأ لازال خاضعا للدراسة والنقاش دوليا ونعنى به قيام الدولة بعمل تسويات سلمية نسبية مع العدو والتي يتم الاعلان عنها صراحة وهي التسوية والتي تضمن حقوق الانسان الاساسية، وكذلك تقديم التعويضات للدولة الاخرى وضرورة محاكمة الدول المعتدية دوليا واذا وجدت مذنبة يجب فرض العقوبات الجزائية عليها وضمان حقوق الانسان لشعب الدولة المتضررة وان تقوم المعتدية بدفع التعويضات الماثلة بعد الحرب جراء ما سببته من اضرار وخسائر .

تاسعا: الحروب انواع وقد اختلف الفلاسفة والمفكرين في تحديد انواع الحروب وماهية الحرب العادلة فقد قسمت الحروب الى عدة انواع منها الحرب الاستباقية والحرب العادلة والحرب القذرة ونعتقد بانها من ابشع انواع الحروب التي تحدث فيها مجازر ضد المدنيين العزل والنساء والاطفال والامثلة حول هذا النوع من الحروب في التاريخ البشري كثيرة ، كذلك هناك من يقسمها طبقا لنمط الحياة في الموجات الحضارية الثلاث فهي تكون حرب بدائية تقوم على القوة البشرية وكثرتها في الموجة الحضارية الاولى ، وقائمة على القوة العسكرية وحشد

الاسلحة التي تحتاج الى القوة المادية في الموجة الحضارية الثانية ، وقائمة على الجانب التكنولوجي والذكاء الاصطناعي تزامنا مع الموجة الحضارية الثالثة .

عاشرا: بكل المقاييس يعتبر الدفاع عن النفس والدولة تحت نظام سياسي مستقل وعادل ضد عدو خارجي معتدي على الانسان والدولة واجب وطني ، والحرب من اجل الدولة حينها تكون حرب دفاعية عادلة مرغوبة من اجل سيادة النظام والتوازن .

الحادي عشر: هناك من الفلاسفة كالقديس اوغسطين يعتقد ان غاية كل مجتمع هي السلم وهذا ما يتناقض مع الواقع حيث تكثر الحروب فيرى ان الحرب مناقضة ظاهريا فقط لرغبة المجتمعات في السلام وان هذه هي بمثابة تجارب من اجل تحقيق هذه الرغبة تحقيقا يرضي ارادة الجميع ورغباتهم في سلم يكون حقيقيا ودائما لا سلما واهيا يكون مجرد سكينة مؤقتة ، والاديان شرعت ووضعت اسس وضوابط تحد الحرب وما يصاحبها وبهذا جعل الحروب مضبوطة بالاخلاق ولا تسيرها الشهوات كما جعلها ضد الطغاة والمعتدين لا ضد الابرياء والمسالمين ومنع الضرر وقتل النساء والنساك والعبّاد والاطفال والشيوخ وعدم نقض العهود والمواثيق .

الثاني عشر: يزعم الواقعيون بأن لاصلة بين الاخلاق والحرب وتنبع هذه الرؤية من اعتقاد راسخ مفاده بان هذه هي حالة العالم وان السعي وراء القوة والغلبة وليس الاخلاقيات هو ما يحرك رجال الدولة في قراراتهم وعلاقاتهم في الدولة ، الا ان الاخلاق ليست شيئا غامضا او غير عقلاني بل انها تقدم الارشادات الضرورية حول كيفية ازدهارنا كبشر وكيف يمكننا نشر الرفاهية و تقليل المعاناة .

لائحة المصادر والمراجع :

(١)– أبن منظور : لسان العرب ، مج٤ ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت 2006، ص٦٩.

(٢)– المصدر نفسه :ص٦٩.

(٣)– الفيروزابادي، مجدالدين محمد بن يعقوب: معجم القاموس المحيط، رتبه ووثقه خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة٢٠٠٧،ص٢٧٤.

(٤)– روزنتال، و ب. يودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، ط٩، بيروت٢٠١١،ص١٧٨.

(٥)– هوندرتش ، تد : دليل اكسفورد للفلسفة، ج١،ترجمة نجيب الحصادي، تحرير الترجمة منصور محمد البابور و محمد حسن ابو بكر، المكتب الوطني للحث والتطوير، ط١ بنغازي ٢٠٠٥، ص٢٨١.

(٦)– حسن العبيدي : فكرة الحرب عند ابن خلدون ، ضمن اعمال المؤتمر الفلسفي الدولي (لماذا الحرب) بيبلوس . لبنان ٢٠١٧ ، ص١٠٢.

(٧)– المصدر نفسه: ص١٠٣. وكذلك، فيشر، ديفيد: الاخلاقيات والحرب،هل يمكن ان تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟، ترجمة ا.د. عماد عواد،عالم المعرفة٤١٤، الكويت ٢٠١٤،ص٨٥.

(٨)– هوندرتش ، تد : دليل اكسفورد للفلسفة، ج١، ص٢٨٢.

(٩)– كلاوزفيتز: المصدر السابق، ص٣٨. وايضا، والتر كينث . ن : الانسان والدولة والحرب ، تحليل نظري ،

ترجمة عمر سليم التل ، مراجعة سعيد الغانمي ، كلمة ط١ ابو ظبي ٢٠١٣، ص٤٧.

(١٠)– ديري، اكرم: اراء في الحرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط٣، بغداد١٩٨٤، ص٢٣. غنار سكيربك ونلز غلجي : تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة الى القرن العشرين ، ترجمة حيدر حاج اسماعيل ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ بيروت ٢٠١٢ ،ص٢٣٦.

https//ar.m.wikipedia.org -(11)

(١٢)– فيتوريو بوفتش: العنف، مختارات فلسفية،ترجمة ياسرقنصوة،القاهرة، المركز القومي للترجمة،ط١، ٢٠٠٦، ص٣١. وايضا ينضر الدراسة المعمقة للباحث، الاب د. هاني بيوس حنا: الكينونة و العنف وصراع البقاء، دراسة في اصول العنف البشري نشأته واسبابه،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت٢٠٢٣ ، ص١٧٣ وماتلاها.

(١٣)– غاستون، بوتول: ظاهرة الحرب، ترجمة ايلي نصار، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٧، ص١٤.

(١٤)– غاستون، بوتول: ظاهرة الحرب،المصدر نفسه، ص٤٨.

(١٥)–خليل، رفقة: فلسفة الحرب، في ماهية الحرب ومسوغاتها عند الفلاسفة اليونان والمسلمين، الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥، ص١٥.

Mowdoo3.com - (16)

(١٧)– جديدي ، محمد : الفلسفة الاغريقية ، منشورات الاختلاف ، ط١ الجزائر ٢٠٠٩.ص١٦١.

(١٨)– هيراقليطس ، جدل الحب والحرب ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دارالتنوير للطباعة والنشر، بيروت ٢٠٠٨ ، ص٨٧ .

(١٩)– افلاطون: الجمهورية، دار الوفاء، ط٢٠٠٥،١ .ص٦٧.

(٢٠)– مسلم حسن : الفلسفة السياسية ، دار ومكتبة حسن العصرية ، ط١ بيروت ٢٠١٦ ، ص٣١٩. وكذلك، ماري، جونز : حروب العقل ، تاريخ سيطرة الحكومات والاعلام والجمعيات السرية على العقل ومراقبته وادارة شؤون الناس ، ترجمة نور الدائم بابكر احمد ، العبيكان ، ط١ الرياض ٢٠١٧ ،ص٣٧

(٢١)– شتراوس ، ليو وجوزيف كرويس : تاريخ الفلسفة السياسية ج١ ، ترجمة محمود سعيد احمد ، مراجعة امام عبد الفتاح امام ، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة ٢٠٠٥، ص٧٨.

(٢٢)– يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار العلم العربي ، ط١ القاهرة ٢٠١٢،ص١٨٣.

(٢٣)– رسل ، برتراند : حكمة الغرب ج٢ ، ترجمة فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ٢٠٠٩،ص٢٩٦. وايضا، فرانسوا شاتليه وآخرون : معجم المؤلفات السياسية ، محمد عرب صاحيلا ،مجد للدراسات والنشر ، بيروت ٢٠٠١، ص٤٦٧ وما تلاها.

(٢٤)– ارسطوطاليس : السياسة ، ترجمة لطفي السيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٨،ص.٢٥٧.

(٢٥)– المصدر نفسه، ص٣٠١.

(٢٦)– بهلول ، نسيم : البوليمولوجيا ، مقاربة منهجية لفهم منطق الحرب في العلاقات الدولية ، ابن النديم للنشر والتوزيع ، ط١ الجزائر ٢٠١٥ . وكذلك خليل، رفقة: فلسفة الحرب، ص٩٨.

(٢٧)– ابن رشد : تلخيص السياسة ، ترجمة حين مجيد العبيدي وفاطمة الذهبي ، دار الطليعة ، ط٢ بيروت ٢٠٠٢ ، ص٧٨. وكذلك مسلم حسن : الفلسفة السياسية ،ص٣٢٠.

(٢٨)– زيعور،علي : الفلسفة في اوربا الوسيطة وعصري النهضة والاصلاح ، المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٨، ص١٨١.

(٢٩)– شتراوس ، ليو وجوزيف كرويس : تاريخ الفلسفة السياسية ج١، ص٢١٦.

(٣٠)– مسلم حسن : الفلسفة السياسية ،ص٣٢٠.

(٣١)– القديس اوغسطين : مدينة الله ج٣ ، ترجمة الخور اسقف يوحنا الحلو ، دار المشرق ، ط٢ بيروت ٢٠٠٦ ،ص١٦٦.

(٣٢)– Duighan 2010 –p77

(٣٣) -ابن خلدون: المقدمة، دار العودة، بيروت١٩٨١، ص ٢١٤.

(٣٤)– blogs.icr.org

(٣٥)-ابن خلدون: المقدمة، ص٢١٤.

(٣٦)– حسن العبيدي : فكرة الحرب عند ابن خلدون، ص١٠٦.

(٣٧)– المصدر نفسه، ص١١٠.

(٣٨)– العبيدي، حسن: جغرافية التفلسف – دراسة في مواقف الفلاسفة من المناخ والبيئة واثرهما في الانسان ،منشورات ضفاف،ط١، بيروت ٢٠١٨، ص٢٠٢.

(٣٩)– الناجي ، خليل : مفهوم الحرب في الفلسفة السياسية ، موقع مدونات الجزيرة blogs.aljazeera.net

(٤٠)– اليعكوبي، زهير: الحرب مقاربة فلسفية، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر ٢٠١٦ ، ص١٥٢.

(٤١)– رسل ، برتراند : حكمة الغرب ج٢، ص٦٢.

(٤٢)– اليعكوبي، زهير: المصدر نفسه ، ص٢٥٩. وكذلك، سون اتزو : فن الحرب ، تقديم وتعليق احمد ناصيف ، دار الكتاب العربي ، دمشق ٢٠١٠ص٣٧.

(٤٣)– التريكي، فتحي: الفلاسفة والحرب، تعريب زهير الدنيني،منشورات ابن النديم،ط١، الجزائر٢٠١٥، ص٧٣.

(٤٤)– جان جاك روسو : االعقد الاجتماعي،ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوى ٢٠١٣ ص٣٣ وكذلك وبهذا الصدد دراسة الباحث الاب د. هاني حنا: الكينونة والعنف وصراع البقاء، المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ ط١ بيروت ٢٠٢٣ ص٢٥٤ ومابعدها.

(٤٥)– التريكي، فتحي: المصدرنفسه، ص١٦١. تشومسكي، نعوم: صناعة المستقبل والاحتلال والتدخلات والامبراطورية والمقاومة، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٤، ٢٠١٩ ،ص٧٩.

(٤٦)– بتول رضا: حاضر العالم المعاصر ومستقبلنا دراسة في حضارة الموجة الثالثة لالفن توفلر، دار دجلة، ط١ عمان ٢٠١٠، ص١٣٤ وما تلاها.

(٤٧)– بتول رضا: حاضر العالم المعاصر ومستقبلنا دراسة في حضارة الموجة الثالثة لالفن توفلر، ص١٤٥.

(٤٨) –E.Estrella. on the ethics of war ,kritike, v6, n1,iceal averras.p67.

(٤٩)https//ar.m.wikipedia.org

(٥٠)– التريكي، فتحي: المصدرنفسه، ص34.

وكذلك، ايناسيور رامونيه : حروب القرن الواحد والعشرين ، ترجمة انطوان ابو زيد ، دار التنوير ، ط١ بيروت ٢٠٠٧ ، ص٧٩.

(٥١) – العبيدي، حسن مجيد، موقف الفلاسفة من الحرب والسلام، محاضرة في قسم الدراسات الفلسفية – بيت الحكمة، بغداد ٢٠٠٩.ص٤٦ وايضا ،التريكي، فتحي: المصدرنفسه، ص٣٥.